الفكر الجغرافي
عند جمال حمدان

د. أحمد محمد عبد العال
أستاذ الجغرافيا بكلية الآداب جامعة الفيوم



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : الفكر الجغرافي عند جمال حمدان

المـــؤلف : د. أحمد محمد عبد العال

رقم الإيداع :

رقم الإيداع :
٢٠١١/١١٢٧٥

الطبعة الأولى ٢٠١١

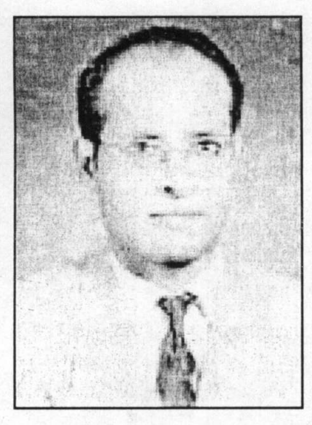


مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ _ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

الإهداء

...



د. جمال محمود صالح حمدان
(١٩٢٨ - ١٩٩٣م)

إلي مصر

التى عشق حمدان ترابها

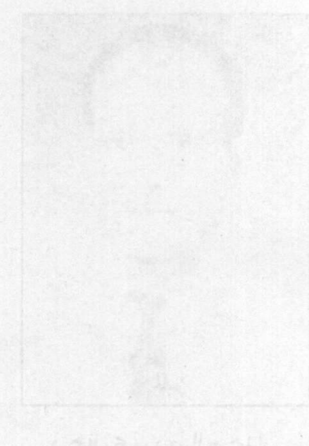
وعاني من ظلم بعض أهلها

وجهل بعض أبنائها

واستشهد في سبيلها

...

هذه بعض كلماته..



مقدمة

■ ■ ■

عندما هوى محترقاً في السابع عشر من شهر إبريل ١٩٩٣ كان جمال حمدان بمثابة الشهاب الذي ينير سماء المعرفة قبل أن يلتقي بالأرض - أرض مصر الذى احترق في هواها - بل قل كالنيزك. لأنه لم يحترق كلية وإنما بقيت أفكاره نبراساً مضيئاً يتلألأ في سماء المعرفة الجغرافية .

لقد كان حمدان المولود في الرابع من شهر فبراير ١٩٢٨ «إقليماً» متفرداً في مجال الفكر الجغرافي. عَلم بذاته. تلعب أفكاره الجغرافية دور مشيرة البوصلة. تشير دوماً إلى الاتجاه الفكري الجغرافي الصحيح. كشعاع الذى الفنار يهدي التائه في لجج بحر الجغرافيا العاصف.

كما كان رحمه الله « قطب نمو فكريّ » لأنه بعد أن نمّي عقليته الجغرافية وتشبع بالفكر الجغرافي المعاصر أخذ يشع نور المعرفة الجغرافية ويعززه. لقد كان بمثابة القلب بالنسبة لمريديه من دارسي الجغرافيا. قلب كبير يجدد فيهم أفكارهم. وفى مسكنه المتواضع عاش مع جغرافيته يناجيها. فأعطته أحسن ما عندها ليخرج عبقرياته الفذة .

وإن كان الراحل الكريم د. جمال حمدان قد توقف عن قراءة معظم ما كتب في الجغرافيا أثناء فترة عزلته « الرائعة » بعيداً عن الحياة العملية فإنه لم يتوقف عن التفكير الجغرافى. وظل حتى آخر لحظات عمره يفكر ويبدع ويكتب. كما ظلت إسهاماته وإضافاته الفكرية في مجال العلم تمثل معيناً ثرياً للعديد من دارسي الجغرافيا والمهتمين بها .

وإذا كان الجغرافيون قد نظروا إلي الجغرافيا علي أنها علم وفن وفلسفة كما قال بذلك

«دبنام» و «ستامب» فإن حمدان أوضح الصورة بجلاء عندما قال أنها «علم بمادتها فن بمعالجتها وفلسفة بنظرتها» فهي العلم الذي يري في السماء صورة الأرض .

ولا يزال العديد من غير المتخصصين في العلم أو المهتمين به ينظرون إليه علي أنه علم جاف لكن قراءة «جغرافية حمدان» تجعلك تشعر بطراوة العلم وليونته واقرأ معي ما قاله حمدان عن الجغرافيا من أنها العلم الذي يحول الظاهرات التي تشغل سطح الأرض من «حقائق مرصوصة إلي أفكار رصينة » .

ونظراً لأن « الإقليمية » كانت مذهبه الجغرافي فقد أبدع الرجل وأنتج عبقريته «شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان» حيث أصبحت الجغرافيا ـ عنده ـ هي مصر ومصر هي الجغرافيا.فنسمعه يكتب « هكذا مصر تأخذ وتعطي.تؤصل وتوصل.الجغرافية قديمة جداً.من أقدم العلوم.ولكنها كلما تغيرت كلما كانت نفس الشئ.تماماً كمصر » أرأيت كم هي موسيقية جغرافية حمدان.فعندما يتوحد في قلب العالِم تخصصه العلمي وبلده ويصبحان «إقليماً» واحداً فإنه يعزف أكثر مما يكتب.ولا يسعنا هنا إلا أن نتعجب معه وهو يقول «شئ غريب فعلاً وحقا.موقع الجغرافيا بين العلوم يكاد يشبه موقع مصر بين البلاد».

وكان حمدان يري أن الجغرافي هو أقدر المتخصصين الذين يلجأ إليهم المثقف العام والمواطن العادي لمعرفة جوهر وطنه لأنه ـ أي الجغرافي ـ «متخصص في عدم التخصص» وذلك لكونه « يضرب بحرية في كل العلوم.يربط الأرض بالناس.والحاضر بالماضي.والمادي باللامادي.والعضوي بغير العضوي.ويكاد يتعامل مع كل ما تحت الشمس وفوق الأرض » .

ولقد كانت الجغرافيا عند حمدان هي «الجذر الجبري للتاريخ ».فقد كتب: أن الجغرافيا تاريخ توقف بمثل ما إن التاريخ جغرافية متحركة « ومن هنا جاء إلمامه الواسع العميق بتاريخ مصر بكافة مراحله.بل ولا نزيد إذا قلنا بتاريخ البشرية

كلها.ويتضح ذلك في مقدمة كتابه القيم «استراتيجية الاستعمار والتحرير » عندما أكد أهمية البعد التاريخي كمدخل لأية دراسة علمية جادة وعميقة للواقع السياسي والإستراتيجي المعاصر واعتبر التاريخ هو معمل الجغرافي ومخزن الاستراتيجي.«فالتاريخ إذا كرر نفسه فإن هذا التكرار هو الجغرافيا» .

وترجع أهمية التاريخ بالنسبة للجغرافيا إلي أنه بالدور التاريخيّ وحده يمكن التعرف علي الفاعلية الإيجابية للإقليم وعلي التعبير الحر عن شخصية الإقليم « فالبيئة قد تكون في بعض الأحيان خرساء.لكنها تنطق من خلال الإنسان.وربما تكون الجغرافيا صماء.لكن ما أكثر ما كان التاريخ لسانها.ولقد قيل بحق أن التاريخ ظل الإنسان علي الأرض بمثل ما أن الجغرافيا ظل الأرض علي الزمان» .

رحم الله حمدان الذي نظر إلى الدنيا كمسرح جغرافي كبير واعتبر الجغرافيا «سندريللا العلوم».سندريللا تحدق بمثل ما تحلق.وهي عنده شعر العلم الذي نثره العلوم الأولية.والعلوم الأولية نثر شعره الجغرافيا.هندسة المكان وعلمه.إذا لم تكن فوق الجميع فإنها حول الجميع.وإذا لم تكن حول الجميع فإنها تحت الجميع .

د.أحمد عبد العال

جريدتا:ا لجمهورية ٨/ ١/ ٢٠٠٠ والتكافل ١/ ٤/ ٢٠٠٠

المبحث الأول

جذور الفكر الجغرافي الإقليمي الحمداني



في مقاله الرائد الرائد «هذه الجغرافية» المنشور في عام ١٩٥٧ [١] أوضح «حمدان» بجلاء أنه أساساً جغرافي «إقليمي»..ولسوف يتبين لنا من استعراض أفكار «حمدان» الجغرافية ومناهجه البحثية أنه كان من أشد المؤمنين بأن الهدف الأخير للبحث الجغرافي هو الإقليم Region والإقليمية Regionalism .

ولقد كانت أبرز خصائص التفكير الجغرافي عندما كتب «حمدان» مقاله في أواسط خمسينيات القرن العشرين هو ذلك الاهتمام الملتهب بالسؤال البسيط عن «ماهية الجغرافية»، والذي اعتبره رد فعل طبيعي لحالة البلبلة الفكرية والخلط اللذان رانا على معظم الأعمال الجغرافية في تلك الفترة وما قبلها، رغم أن الكل كان يعلم في تلك الفترة - وحتى اليوم - أن الجغرافيا علم يدرس ظاهرات عديدة قد تختلف تماماً، بحيث يصبح موضوعه غير متجانس، بل متنافر يجمع الأضداد، وأن هذا العلم يجمع مادته الخام من كل العلوم «على الإطلاق» [٢].

وقد وجد الجغرافيون أنفسهم وعلمهم أمام اتهامين خطيرين رئيسين أولهما تساءل عن كيفية استطاعة الجغرافيا - كعلم واحد - أن يدرس في وقت واحد كل الظاهرات المتنافرة «كالصخور والقبور، والسكان والأديان، والسلالات والعادات، والغزوات والغابات» [٣] فعلم كهذا لا يمكن أن يكون علماً متجانساً، وإنما علمٌ يفتقد الوحدة الداخلية الأساسية، أما الاتهام الثاني فينفي وجه الأصالة والجدة عن الجغرافيا كعلم لأنها تستمد مادتها الخام من العلوم الأولية بلا استثناء، كما ينكر عليه تميزه عن العلوم الأخرى، لأن اعتماده عليها ينفي عنه استقلاله وتفرده كعلم، ومن ثم يصبح علماً عالة على غيره من العلوم الأخرى، بل وعلم «طفيلي متلصص» فالعلم الصحيح كالدولة السليمة يقوم على أساسين: الوحدة الداخلية بين أجزائه المختلفة، والاستقلال الداخلي

(١) جمال حمدان - هذه الجغرافيا - مرآة العلوم الاجتماعية - العدد الأول - ديسمبر - ١٩٥٧.

(٢) المرجع السابق - ص ٢٧ .

(٣) السابق - المكان نفسه .

عمن سواه [١].

وللدفاع عن علمهم كان من الطبيعي ـ لرد هذين الاتهامين وغيرهما ـ أن يطغي الاهتمام بين الجغرافيين بفلسفة المادة ومسائلها المنهجية «الميثودولوجيا» علي المادة نفسها، وقد تزعمت المدرسة الجغرافية الألمانية وعلي رأسها «ألفرد هتنر Alfred Hittner»(١٨٥٩ـ١٩٤١) « ذلك الجدل المنهجي، والذي توجه بكتابه :

«Die Geographe Ihre Geschichte.Ihre Wesen und Ihre Methoden»[٢].

ويتلخص منهج هتنر في أن الجغرافيا هي دراسة العلاقة بين الطبيعة والإنسان في إطار إقليمي، وهي تهدف بذلك أساساً إلى دراسة الأقاليم من حيث الوصف والتفسير والتحليل [٣].

ولم تكن الجغرافيا عند «هتنر» هي علم الأرض فحسب بل علم «كورولوجية سطح الأرض Chorological Science of Earth's Surface حيث كانت «الكورولوجيا» عنده تعنى التباين الإقليمي، لأن منهجه الجغرافي كان يتمثل في دراسة العلاقة بين الطبيعة والإنسان في إطار إقليميّ، فعلم الجغرافية ـ حسب رأيه ـ ينقسم إلى جغرافية عامة تختص بتوزيع الظاهرات الجغرافية على سطح الأرض، وجغرافية خاصة تختص بدراسة الأقاليم الجغرافية [٤].

وقد قال «هتنر» أن موضوع الجغرافيا المتميز من العصور القديمة وحتى الآن ـ عام ١٨٩٨ ـ كان معرفة مناطق سطح الأرض حسب اختلاف بعضها عن البعض الآخر

---

(١)السابق ـ المكان نفسه .

(٢)السابق ـ المكان نفسه .

(٣)أحمد محمد عبد العال ـ دراسات في الفكر الجغرافي ـ دار فكرة ـ القاهرة ـ ٢٠٠٩ ـ ص ٢٦ .

(٤)محمد صبحي عبد الحكيم ـ دراسات في الجغرافيا العامة ـ ط١ ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ ـ ص١٥.

مع اعتبار الإنسان جزءا مكملا لطبيعة المنطقة، كما عاد وكتب عن «التوزيعات الجغرافية للأرض» أو «علم المناطق والأماكن، وما يختص باختلافاتها وعلاقاتها المكانية» أو «علم سطح الأرض من حيث اختلافاتها المكانية» حيث أكد أن هدف وجهة النظر التوزيعيّة في الجغرافيا هو معرفة سمات الأقاليم والأماكن من خلال إدراك وجودها معا وعلاقاتها ضمن المظاهر المختلفة للواقع، كما تظهر مُرتّبة في شكل قارات أو مناطق كبيرة وصغيرة أو أماكن [(١)].

كذلك أوضح «هتنر» أن الجغرافي لا يستطيع أن يجد وحدة أي جزء معين من سطح الأرض بمجرد النظر إلى مظهره الخارجي - لاندسكيبه - وإنما بدراسة عناصر تكوينه وتفهّم مكوّنات هذه العناصر، ويتحقق ذلك بالتعرّف على التكوين الجغرافي المعقد لمختلف النظم التي تكوّن ذلك الجزء من ناحية - كالأنهار ونمط المناخ مثلا - ثم بإيجاد الترابط السببيّ الإجمالي «الصورة الإجمالية» Zusammenhang لمختلف هذه الظاهرات من ناحية أخرى، ومن ثم يكون هتنر قد أعطى أهمية للدراسة الإقليمية حين أظهر أن مادتها تستمد من الدراسات الأصولية [(٢)].

ولقد ترددت أصداء فلسفة هتنر الإقليمية في كتابات كل من «شيزولم Chisholm» و«هربرتسون »و«ماكندر» في بريطانيا، و«فنمان «Fenneman و«ساور Sauer » في الولايات المتحدة الأمريكية، بل ووصلت هذه الأصداء إلى اليابان، وكان «ماكندر Mackinder» يرى أن الدراسة على أساس الأقاليم تعتبر اختبارا أكثر دقة لمنطق المناقشة الجغرافيّة من الدراسة على أساس نوع الظاهرات [(٣)].

---

(١)ريتشارد هارتشورن - نظرة في طبيعة الجغرافيا - ترجمة: عبد العزيز آل الشيخ وعيسى موسى الشاعر - دار المريخ - الرياض - ١٩٨٨ - ص ١٦.

(٢)حسن طه النجم - دراسة في الفكر الجغرافي - عالم الفكر - المجلد الثاني - العدد الثاني - يوليو سبتمبر - الكويت - ١٩٧١ - ص ١٣٠.

(٣)ت.و.فريمان - الجغرافيا في مائة عام - ترجمة: عبد العزيز طريح شرف - آفاق عربية - بغداد - بدون تاريخ - ص - ٦٩.

كما كتب كل من «س.و. وولدردج S.E.Wooldridge» و «جوردون إيست W.G.East» كتابهما الشهير «[1] The Spirit and Purpose of Geography»، والذي نشر لأول مرة عام ١٩٥١ وترجم إلي اللغة العربية بعنوان الجغرافيا مغزاها ومرماها [2] وقد خصص المؤلفان الفصل الثامن من كتابهما للجغرافيا ونظرية الأقاليم.

وللإجابة عن التساؤل عن ماهية الجغرافيا استعرض «حمدان» أربع تعريفات شهيرة لعلم الجغرافيا قبل أن يدلي برأيه ويجيب عن التساؤل المطروح، وهذه التعريفات هي:

التعريف الأول: الجغرافيا علم كوكب الأرض

وقد اعتقد معتنقوه بأن الجغرافيا تدرس الأرض ككل أو ككوكب، أي من وجهة نظر فلكية، وهذا - في رأي حمدان - خطأ واضح لازال أثره باقياً في شكل الجغرافيا الفلكية أو الرياضية «المزعومة» ، التي لم يعتبرها جغرافية وإنما جزء من العلوم الفلكية، فاهتمام الإنسان بالأرض لا ينصب علي ناحيتها الفلكية ككوكب، بل علي ما يوجد فوق سطح هذه الأرض من ظاهرات، ومن ثم يكون المدلول الحرفي للكلمة اسم علي غير مسمى [3].

التعريف الثاني: الجغرافيا علم وصف الأرض

ويكفي أن نذكر كلمة الجغرافية الوصفية - كما كتب حمدان - فالوصف ليس بعلم لأنه يرتد بالجغرافيا إلي جغرافية الرحلات والطبوغرافيا أو «جغرافية الرؤوس والخلجان بما فيها من غرائب الأقطار، رغم أن الوصف أساس لكل علم لكونه يقدم المادة الخام، إلا أنه - وحده - لا يكفي لأنه سطحي أجوف غير تحليلي تعليلي، ولا يعطي

---

(١) S.E.Wooldridge and W.G.East The, Spirit and Purpose of Geography, HUCHINSON& University Library, London, 1976.

(٢)س.و. وولدردج و جوردون إيست - الجغرافيا مغزاها ومرماها - ترجمة: يوسف أبو الحجاج و محمد محمود الصياد - الألف كتاب رقم ١٧٨ - مكتبة الشرق - القاهرة - بدون تاريخ نشر .

(٣)جمال حمدان - هذه الجغرافيا - مرجع سبق ذكره - ص ٢٨.

وحدة داخلية للظاهرات المختلفة، كما أنه يدعو إلي الذاكرة وليس إلى العقل [1].

التعريف الثالث: الجغرافيا علم العلاقات

أي العلاقة بين البيئة والإنسان، وهو تعريف رأي حمدان أنه أكثر خطراً من سابقيه، فالواقع أن الجغرافيا منذ أن اتخذت مبدأ السببية Causality العلمية أساساً لها كان عليها أن تهتم بالعلاقات السببية بين ظاهراتها المختلفة، وحين ظهر الاتجاه نحو استبعاد الإنسان من الجغرافيا اشتد الإقبال علي فكرة العلاقات Rlationships لأنها الضمان الوحيد لإعادة الإنسان إلي حظيرة الجغرافيا [2].

ولقد بدأ هذا الاتجاه علي يد «فردريك راتزل» Ratzel (١٨٤٤ـ١٩٠٤) وإن لم يعرَف هو الجغرافيا بعلم العلاقات، وقد تأثر «راتزل» بنظرية التطور التي وضعها «تشارلز داروين» نتيجة لدراساته عن العلاقة بين الإنسان وبيئته الطبيعية، وقد أعاد «راتزل» للإنسان مكانته المركزية في الدراسات الجغرافية، وكان المحفز الأول الذي أدت كتاباته إلي تنامي الاهتمام بالجغرافيا البشرية في أوربا وأمريكا، ولذلك فهو يعتبر مؤسس الجغرافيا البشرية، التي عرض آراءه فيها في كتابيه: «جغرافية الإنسان» و«الجغرافيا السياسية» التي يعتبر أيضا مؤسسها الفعلي، وفي الكتاب الأول درس «راتزل» أسس تطبيق الجغرافيا علي علم التاريخ، مطبقاً ذلك علي تطور المجتمعات البشرية في محيطها الجغرافي، ثم درس توزع البشر علي سطح الأرض، وعلاقة هذا التوزع بالظروف الجغرافية، ووضع بذلك البذرة الأولي للمدرسة الجغرافية الحتمية Determinism عندما خلص إلي أن الإنسان من صنع الطبيعة.

وقد ظهر كتاب جغرافية الإنسان أو الجغرافيا البشرية Anthropogeography في عام ١٨٨٢ واعتبر حدثاً مهماً في تاريخ علم الجغرافيا، وكان له تأثير مباشر على تطور

(١) المرجع السابق ـ ص ٢٩.

(٢) السابق ـ المكان نفسه.

المنهج الجغرافي لنجاحه في الربط بين العلوم الطبيعية ودراسة الإنسان (من حيث سلالاته وأعماله) وبه اعتبر «راتزل» واضع الأسس العلمية للجغرافيا البشرية الحديثة، وكان هدفه إرساء قواعدها على أسس علمية.

وقد ارتقى «راتزل» بجغرافية الإنسان «الأنثروبوجرافيا» إلى مستوى النظام العلمي وذلك بتنظيم ظاهراتها وتأسيس أفكارها وإيجاد الارتباط بين النتائج التي يمكن التوصل إليها، ومن ثم جاء على يديه أساسا رد اعتبار الجغرافيا البشرية إذ كانت دراساته رد فعل لمغالاة بعض الجغرافيين وتعصبهم للجغرافيا الطبيعية.

أما الكتاب الثاني فقد كان مسرحا لعرض فلسفة «راتزل» الحتمية، عندما اعتبر الدولة كائناً حياً، يشغل موضعاً معيناً من سطح الأرض، ثم ينمو ببطء حتي يبلغ مرحلة الكمال، ثم بعد ذلك يبدأ في الضمور، ولهذا فهو يحتاج لمجال حيوي ويرتبط مصيره بطبيعة وخصائص منطقته.

وقد اعتقد «راتزل» أن هناك ثلاث مجموعات تحكم الإنسان وتؤثر في تطوره وهى: الموقع، الحيز، والحدود، وعلى هذه الأمور قامت أفكاره في الجغرافيا السياسية والتي نشرت لأول مرة عام ١٨٩٧ وتتمحور حول اعتبار الدولة تجمع مكاني على سطح الأرض يضم مجموعة بشرية ذات تنظيم محدد، أي أنها عبارة عن قطعة بشرية فوق جزء من سطح الأرض، ومن هنا نشأ مفهوم « المجال الحيوي Lebensraum » .

وقد طوّر «راتزل» فكرة الظهير «Hinterland» وصنفه إلى خمسة أنماط هي: الظهير الطبيعي، الظهير السياسي، ظهير السوق، ظهير المنتجات، وظهير المرور، ويعتبر أول من صاغ فكرة «المظهر الأرضي ـ اللاندسكيب ـ الحضاري Cultural Landscape» الذي يعنى في نظره لاندسكيباً تاريخياً طالما أنه يسجل مراحل تاريخية متتابعة للاستيطان البشرى.

وقد صنع «راتزل» أبرز معالم تطور الفكر الجغرافي في أواخر القرن التاسع عشر، إذ وضع أساس الجغرافيا البشرية وكانت معالجته لها على أساس أصولي لا على أساس

إقليمي، كما أكد أن الجوانب البشرية من علم الجغرافيا يمكن أن تخضع للدراسة الأصولية المنهجية شأنها في ذلك شأن الجوانب الطبيعية، لكنه أسرف في إخضاع الإنسان ونشاطه البشرى لتأثيرات البيئة الطبيعية وبذلك كان الرائد الأول لمدرسة الحتم البيئي Environmental Determinism الحديثة، [١] .

ولقد استمر هذا التيار جارفا بعد «راتزل» حتى جاء كل من «فلير FleureH» وهارلان باروز H.Parrows بتعريف «الإيكولوجيا البشرية Human Ecology وتعتبر أقاليم «فلير» البشرية من أبرز أنماط الأقاليم البشرية العامة، التى تعكس مدى استجابة الإنسان لظروف بيئته، رغم ما تحمله هذه الأقاليم من «نكهة حتمية» تضاءلت حدتها مع تزايد تأقلم الإنسان مع هذه الظروف [٢] .

وليست فكرة «فلير» عن التقسيم الإقليمي إلا مجرد فكرة كانت لها أهميتها في وقت من الأوقات، وقد كان من الصعب توضيحها بالخرائط، ولذلك لم ترسم لها خرائط كافية، ومع ذلك فإنها كانت تمثل عمقا في النظرة إلى درجة ملائمة أو أفضلية المناطق المختلفة للحياة البشرية، وهي تشتمل كذلك على أساس طبيعي دقيق وتعترف بإمكان حدوث تغيير في أية منطقة من المناطق نتيجة لتغير الظروف [٣] .

ولقد أوضح «فلير» أن التغير هو الشيء الثابت الوحيد على سطح الأرض، ويمكن إضافة أن هذا التغير قد يكون تغيرا رأسيا، كما قد يكون تغيرا أفقيا، والتغير الرأسي هو التغير الزمني، حيث تتبدل أوضاع منطقة ما عبر الزمن، أما التغير الأفقي فيتمثل في اختلاف المناطق عن بعضها في وقت واحد [٤] .

وقد تزعم «باروز» هذا التيار وقال بأن تلاؤم الإنسان مع بيئته لا ينبثق من الطبيعة

(١) أحمد محمد عبد العال ـ دراسات في الفكر الجغرافي ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٥٥ .

(٢) المرجع السابق ـ ص ٥٦ .

(٣) السابق ـ ص ٥٧ .

(٤) السابق ـ ص ٥٨ .

وإنما من الاختيار البشري، وأكد بأن العلاقة بين الإنسان والأرض من أجل الحصول علي مقومات حياته هي الأشد مباشرة وقوة، وأن جل العلاقات الأخرى تنبثق من تلك العلاقات. وعبر عنه من خلال تعريفه للجغرافيا في عام ١٩٢٣ بأنها « معالجة العلاقات الحميمة بين الإنسان وبيئته لأنها علم «الإيكولوجيا البشرية» [١].

والغريب - كما لاحظ حمدان - أن الاهتمام بالعلاقات في ألمانيا - مهد الجغرافيا الحديثة عامة ومهد هذا التوجيه خاصة - لم يدم سوى عدة عقود، انقرض تماماً من كتابات الألمان الجغرافية المنهجية، في الوقت الذي انتشر فيه خارجها انتشارا كبيراً، رغم أن المدرسة الجغرافية الألمانية قد أثبتت فساد هذا التعريف، وإن يكن الاعتراض ليس علي دراسة العلاقات في الجغرافيا، وإنما علي اعتبار هذه العلاقات وحدها موضوع العلم الوحيد [٢].

وكان حمدان يري أن هناك أربعة انتقادات رئيسة لتعريف الجغرافيا كعلم علاقات، وهي:

١ - أن هذا المذهب يوجد بطبيعته تعارضاً لا مفر منه بين البيئة والإنسان، فباعتبار البيئة هي العامل Factor الجغرافي فإن الجغرافيا تصبح فقط تأثير هذا العامل على الإنسان، أي تصبح جغرافية التأثيرات وجغرافية الضبط التي تتألف من سبب ونتيجة، فعل ورد فعل، أي ضوابط طبيعية واستجابات بشرية، وهذا يعنى البدء بفكرة قَبْلية من الحتم البيئي الساذج، والبدء باعتبار العوامل الطبيعية لا يمكن أن يؤدي إلا إلي احتمالات فقط، أما التقرير النهائي فمتروك أخيراً للإنسان [٣].

ورغم ظهور المدرسة الإمكانية Possibilism رداً علي المدرسة الحتمية، إلا أن كلا منهما مدرسة إيكولوجية، رغم التعارض الواضح بينهما، ومن ثم فكل منهما يوجه دارسه بالبحث عن مثل تلك العلاقات وإيجادها، لأن النجاح في ذلك يتمثل في إبراز

(١) السابق - ص ٥٩.

(٢) جمال حمدان - هذه الجغرافيا - مرجع سبق ذكره - ص ٣٠.

(٣) السابق - المكان نفسه.

تلاؤم بيئي لا نفيه مما يسلب هذا الباحث موضوعيته [١].

والجغرافيا ـ كعلم للعلاقات ـ تصبغ عنصر النسبية بالغموض، وهو الأساس في فكرة السببية العلمية، فإذا كان بعض غلاة الحتم الجغرافي قد أبرز هذا الخطر، فإن رد الفعل بين بعض غلاة الحتمية كاد يؤدي إلي خطر أشد وأنكي، ألا وهو نكران السببية العلمية بإنكار أية فاعلية للبيئة الطبيعية [٢].

٢ ـ إذا كانت الجغرافيا علم العلاقات والإيكولوجيا البشرية فإنها منطقياً لا تهتم بأي من الظاهرات الطبيعية والبشرية إلا في مدى علاقاتها ببعضها، وحيث أن الجغرافيا البشرية هي بالضرورة مشبعة بالعوامل الطبيعية فهي تحقق هذا الشرط ومن ثم تستقر في صميم الجغرافيا، أما الجغرافيا الطبيعية فهي في حد ذاتها ليست دراسة علاقات، ولا تتعرض بالضرورة للإنسان وارتباطه بها، فليس هناك ما يفرض علي الجغرافيا منطقياً دراستها، ومعني هذا أن الجغرافيا تصبح بذلك هي الجغرافيا البشرية فقط، في حين تخرج الجغرافيا الطبيعية خارج نطاق علم الجغرافيا علي الإطلاق [٣].

ويرى حمدان أن استبعاد الجغرافيا الطبيعية لا يمكن أن يكون دعوة جديَّة لأن دراسة تلاؤم الإنسان والبيئة تتطلب معرفة هذه البيئة، وأية جغرافية بشرية لا تقوم علي أساس صلب من الجغرافيا الطبيعية جغرافية لا أساس لها.

٣ ـ وكان الانتقاد الثالث هو تساؤل «حمدان»: هل يمنح تعريف العلاقات العلم وحدته التي لا غنى عنها؟؟ فالتنظيم الوحيد الممكن ـ في رأيه ـ لمادة علم العلاقات هو تصنيف مجموعات العلاقات وتأثيرات البيئة علي الإنسان إلى فئات بحسب كل واحد من العوامل الطبيعية، فيكون هناك فصل لتأثير المناخ علي الإنسان، وآخر لتأثير التضاريس وهكذا، ولكن في كل هذه الفئات لا يوجد أساس لتنظيم موحد لكل أنواع

(١)السابق ـ ص ٣١.

(٢)السابق ـ المكان نفسه.

(٣)السابق ـ المكان نفسه.

العلاقات المختلفة، ولذا لا يمكن لهذه الفئات أن تتميز بوجود وحدة فيما بينها، فضلاً عن أن هذا التنظيم قد يتمخض عن موسوعات «كتالوجية ضخمة»، بل ويؤدي إلى تشتت العلم [1].

٤ ـ أما الانتقاد الرابع فكان تساؤل «حمدان» أيضا: هل يمنح التعريف الإيكولوجى للجغرافيا تفردها وكيانها المستقل عن غيرها من العلوم؟؟ ففي اعتقاده أن كل العلوم الأولية التي تدرس الإنسان لابد أن تقيم علاقتها مع طبيعة سطح الأرض إذا أرادت إدراك وفهم الأحوال الاجتماعية المختلفة للأماكن المختلفة، كعلم التاريخ الذي يتحتم عليه دراسة العوامل الطبيعية لتفهم بعض حوادثه المختلفة المنفردة، وعلم الاجتماع الذي لا يمكنه تجاهل البيئة التي يقع فيها المجتمع، فدراسة العلاقات الإيكولوجية لا يمكن أن تكون حكراً لعلم، وهذه النظرة الإيكولوجية إلي الجغرافيا ـ في رأي حمدان ـ هي التي أدت إلي اعتبارها في الدوائر العلمية الخارجية طفيلية فضولية لا كيان لها ولا استقلال [2].

والخلاصة ـ كما خلص حمدان ـ أن علماً مستقلاً لا يمكن أن يتخذ موضوعه مجرد علاقات سببية، لكنه ينبغي أن يعين لنفسه دائرة معينة من الحقائق يحددها أولاً ثم يسعي بعد هذا التحديد وراء العلاقات السببية، وقد فشلت فكرة الجغرافيا كدراسة للعلاقات في أن توفر للمادة أهدافاً ملموسة كافية، أي بظاهرات محسوسة لدراستها أو بنظام منهجي متميز، والسبب في ذلك ببساطة أن الإيكولوجيا ليست علماً في حد ذاتها بل هي منهج بحث علمي [3].

التعريف الرابع: الجغرافيا علم التوزيعات

فالجغرافيا في نظر معتنقي هذا التعريف هي أساس علم التوزيعات الهادف إلي دراسة توزيع الظاهرات المختلفة ـ متصلة أو منفصلة ـ علي سطح الأرض، وقد وجه

(١) السابق ـ ص ٣٢.

(٢) السابق ـ المكان نفسه.

(٣) السابق ـ المكان نفسه.

حمدان لهذا التعريف أيضاً ثلاثة انتقادات هي:

١ـ إذا كانت الجغرافيا علم التوزيعات فما حدودها؟؟ فكل شيء علي سطح كوكب الأرض يقع في بالضرورة مكان، أي أن لكل شيء توزيعا، مما يجعل الجغرافيا بحراً لا ساحل له، لأنها تهتم بكل ما علي الأرض وكل ما تحت الشمس، إن هذا التعريف ـ كما يضيف حمدان ـ لا يخبرنا أي الظاهرات يمكن اعتبارها ذات مغزى جغرافي، أي أنه فاقد للأساس الانتخابي للظاهرات، فهل تدرس الجغرافيا إذن توزيع المدارس الأدبية أو توزيع حقوق المصير في العالم!!؟؟ إنه تعريف «أكثر من جامع وأقل من مانع» في ظله تصبح الجغرافيا علم سطحي يهدف إلي معرفة كل شيء عن أيَّ شيء [١].

٢ـ إن هذا التعريف لا يعطي للجغرافيا وحدتها، فالتوزيعات تجمع بين ظاهرات متنافرة بين صخور ومياه وهواء وتيارات بحرية ومحاصيل ولغات وأجناس ولغات، والتوزيع في حد ذاته لا يمدنا برباط مشترك من الاهتمام، وفي ظله يفتح الباب علي مصراعيه لاتهام الجغرافيا بأنها مجرد علم مركب وأنها ليست سوى أجزاء من العلوم الأخرى.

٣ـ إن هذا التعريف لا يعطي للجغرافيا استقلالها العلمي لأن التوزيع ليس حكرا للجغرافيا لأنه خاصية للأشياء، تدخله العلوم الأولية في دائرة بحثها وعرضها، فعلماء النبات أو الحشرات أو الجيولوجيا أو الاجتماع في حاجة إلي توزيع ظاهراتهم علي خريطة العالم أو لجزء منه، فالعلوم الأولية وإن تكن قياسية إلا أنها تحتاج إلي استعمال الطريقة التوزيعية الاستقرائية، والعلماء الأصوليون إذا وزعوا ظاهراتهم مكانيا لا يصبحون جغرافيين، ومن ثم فلا العلاقات ولا التوزيع بحكر علي الجغرافيا بل كلاهما مشاع بين كل العلوم [٢].

وبعد هذه الجولة التي قام بها حمدان بين تعريفات علم الجغرافيا المتعددة عاد

(١) السابق ـ ص ٣٤.

(٢) السابق ـ المكان نفسه.

للتساؤل عن ماهية الجغرافية ليقول بأن سفينة الجغرافيا بعد رحلتها الطويلة المضطربة عادت علي أعقابها لتستقر علي تعريف كلاسيكي قديم للجغرافيا قال به «سترابو Strapo (٦٤ ق.م -٢٠.م): الجغرافيا هي علم الكورولوجيا Chorology أو الكوروجرافيا Chorography اشتقاقاً من الكلمة الإغريقية Chore أي منطقة أو إقليم، والتي لا تعتبر غريبة علي اللغة العربية بعد أن دخلتها عن طريق الفارسية وتعربت في صورة كلمة «كورة» واستخدمت أساساً للتقسيم الإداري لمصر في كثير من فترات العصور الوسطي [١].

وقد بعث «ألفرد هتنر Hittner ١٨٥٩-١٩٤١ » هذا التعريف الكورولوجي، ومعني هذا أن قصة الجغرافيا قد تلخصت في كلمة واحدة عودة علي بدء، والتعريف الكُورولوجي يعني أن عمل الجغرافي هو أن يطالع سطح الأرض المتفارق بطبيعته من منطقة إلى أخرى، فيستشف من هذه المطالعة ويتعرّف عن طريقها على كل وحدة تفارقية ذات شخصية متميزة عن سواها فيحددها ويبين محتوياتها ومقومات شخصيتها الإقليمية [٢] .

والإقليم - كمنطقة متجانسة داخلياً متنافرة خارجياً - في رأي «حمدان» يضمن الوحدة الداخلية لعلم الجغرافيا، فلم يعد يهم حسب هذا الرأي عدم تجانس الظاهرات الجغرافية المختلفة العديدة، سواء الطبيعي منها أو البشري، التى يتضمنها الإقليم، كما يضمن أيضاً استقلال علم الجغرافيا؛ لأنه لا يوجد علم آخر يختص بدراسة الأقاليم وتباين سطح الأرض في أقاليم سوى علم الجغرافيا، وإن كان النصف الثاني من القرن العشرين قد شهد ظهور العلم الإقليمي Regional Science الذي اهتم به العديد من الباحثين في العلوم الطبيعية والبشرية .

---

(١) السابق - ص ٣٥.

(٢) محمد علي عمر الفرا - اتجاهات الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر - نشرة قسم الجغرافيا جامعة الكويت رقم ٤٩ - يناير ١٩٨٣ - ص ١٣.

وقد كان « وليام بنج» .William Wheeler Bunge Jr» الجغرافي الأمريكي المولود في عام ١٩٢٨ يرى أن الجغرافيا هي: علم المواقع، وأنها تنقسم إلى شقين أحدهما تطبيقي (إقليمي) والثاني تنبؤي (نظري) يجيب الأول منهما عن السؤال: ماذا يوجد في المكان من ظاهرات، بينما يجيب الثاني عن سؤال آخر هو: لماذا يوجد ما يوجد في المكان من هذه الظاهرات.

وقد أصبح هناك إدراك متنام للحاجة إلي منهج متعدد الاختصاصات لدراسة المشكلات الإقليمية، ولكن في ظل استحالة إلمام الباحث بكافة المعارف الخاصة بالإقليم، نتيجة للكم الهائل من المعلومات، وتعقد المسائل المطروحة، حتى لو كان ذلك الإقليم صغيراً، ظهر اتجاه يتمثل في اشتراك مجموعة من الباحثين ذوي الخلفيات المتنوعة والمهارات المتعددة في دراسة مجموعة معينة من المشكلات الإقليمية.

وقد تمثل هذا النوع من المناهج في ظهور حقل دراسي جديد هو «العلم الإقليمي» الذي تزعمه الاقتصادي الأمريكي «والتر إيزارد .Isard,W»، المولود في فيلادلفيا في عام ١٩١٩، في خمسينيات القرن العشرين، عندما تكونت رابطة العلم الإقليمي من مجموعة من الجغرافيين والاقتصاديين والاجتماعيين والمهندسين، كان هدفها تبادل الأفكار ووجهات النظر من أجل تطوير نظريات ومناهج التحليل الإقليمي والدراسات الجغرافية من أجل حل المشكلات الإقليمية. ولتمد الباحثين بقاعدة كمّية وتحليلية للأسئلة الجغرافية، بالتناقض مع الاتجاهات الوصفية لبرامج الجغرافيا التقليدية. فالعلم البيئي من وجهة نظرهم يتضمن الجسم المعرفي الذي يلعب فيه البعد الفراغي دوراً رئيساً، مثل علم الاقتصاد الإقليمي، وإدارة الموارد، ونظرية الموقع، والتخطيط العمراني، والتخطيط الإقليمي، والنقل والمواصلات والجغرافيا البشرية، وتوزيع السكان، وعلم البيئة، وقد أصدر «إيزارد» ومعه ستة باحثين آخرين في عام ١٩٦٠. كتابا عن «وسائل التحليل الإقليمي كمدخل للعلم الإقليمي نشره «معهد

ماساتشوستس للتكنولوجيا» (M.I.T) [١] .

والكورولوجيا هنا - كما رأي حمدان - تناظر التاريخ، فوحدة الجغرافيا: الإقليم، ووحدة التاريخ: الفترة الزمنية، وكلاهما يستمد حقائقه اللامتجانسة من العلوم الأخرى، ولكنه يوحّد بينها ويمنحها استقرارها في هذا الإطار المكاني أو الزماني، فلا تنساح الجغرافيا - كعلم التباين الأرضي إلى ما لا نهاية، لأن الجغرافيين الإقليميين ينتخبون الظاهرات التى تسهم في تحديد الشخصية الإقليمية، هكذا تتحدد العناصر التى تُدرس في الإقليم، ولاشك أن تركيب هذه العناصر المختلفة علي بعضها البعض لتكوّن الإقليم عملية صعبة معقدة، ولكن ذلك لا يمنع من الاعتراف بأن الإقليم هو «قلب الجغرافيا» ويجب أن يسود في جميع مراحلها وفروعها [٢].

وكان أهم ما ميّز الجيل الرابع من الجغرافيين المصريين - جيل منتصف القرن العشرين - في رأي «حمدان» أنه انتقل بالجغرافيا نهائياً من التعريف الإيكولوجي الذي خضرم في مصر وسبب انحرافات كثيرة في توجيه النشاط والاهتمام بالجغرافيا العربية الي التعريف «الجديد» في ذلك الوقت وهو ستينيات القرن العشرين، والذي عرفه الخارج منذ عقود قبلها، وأدي إلى استقرار العلم واستقلاله وفعاليته، ألا وهو التعريف «الكورولوجي» [٣].

فالإطار الجغرافي السليم - في رأي حمدان - هو إخضاع المادة الجغرافية للمنهج الإقليمي، فأصالة الجغرافيا فلسفة ومنهج ومجال، وتتمثل الفلسفة في تلك النظرة الكلية العامة إلي المادة وهدفها وطبيعتها، أما المنهج فيتمثل في طرق البحث وأساليبه، بينما يتحدد المجال في دائرة اهتمام العلم ومجال نشاطه موضوعيا أو إقليميا [٤].

---

(١) Isard,W. ,Methods of Regional Analysis: An Introduction to Regional Science, The M.I.T. Press, Cambridge,Massachutetes,1960

(٢) جمال حمدان - هذه الجغرافيا - مرجع سبق ذكره - ص ٣٦.

(٣) جمال حمدان - نحو مدرسة عربية في الجغرافية- مرآة العلوم الاجتماعية - العدد الأول - ديسمبر - ١٩٦٤- ص١٨ .

(٤) جمال حمدان - هذه الجغرافيا - مرجع سبق ذكره - المكان نفسه.

المبحث الثاني

الشخصية الإقليمية في الفكر الجغرافي الحمداني



في كتابه الأشهر «شخصية مصر..دراسة في عبقرية المكان» الصادر علي مدى عدة سنوات وفي عدة طبعات، والذي صدر لأول مرة في عام ١٩٦٧ [١]، ثم نُشر موسعاً في عام ١٩٧٠ [٢]، ثم موسوعياً فيما بين عامي .١٩٨ و١٩٨٤ [٣] أكد «حمدان» أفكاره الجغرافية الإقليمية وهو يكتب عن «شخصية مصر» مؤكداً ما سبق له أن كتبه قبل ذلك في عامي ١٩٥٧ و١٩٦٤ .

«فإن تكن الجغرافيا في الاتجاه السائد بين المدارس المعاصرة هي التباين الأرضي Areal Differentiation أي التعرّف علي الاختلافات الرئيسة بين أجزاء سطح الأرض علي مختلف المستويات فمن الطبيعي أن تكون «قمة» الجغرافيا هي التعرّف علي شخصيات الأقاليم [٤] وبهذا التعريف يصبح الإقليم هو قلب الجغرافيا، والشخصية الإقليمية هي قلب الإقليم وأعلي مراحل الفكر الجغرافي.

والشخصية الإقليمية عند حمدان «أكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص الإقليم وتوزيعاته» إنما هي تبحث أساساً عما يعطي منطقة ما تفردها وتميزها عن سائر المناطق من أجل الوصول الي «روح المكان» لتستشف منها «عبقريته الذاتية» التى تحدد «شخصيته الكامنة»، وإذا كانت ميزة الجغرافيا وصميم أصالتها كما كتب «فيدال دي لابلاش La Blache , P.V. (١٨٤٥-١٩١٨)» هي أنها «فن عدم فصل ما وصلت الطبيعة» فإن حمدان رأي أن هذا لا يتبلور كما يتبلور في الشخصية الإقليمية [٥].

ومثل هذا المنهج لتحديد شخصية الإقليم «ليس منهجاً تحليليا وحسب وإنما هو

(١)جمال حمدان - شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان - كتاب الهلال - العدد ١٩٦ - دار الهلال - القاهرة - يوليو ١٩٦٧.

(٢)جمال حمدان - شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٠.

(٣)جمال حمدان - شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان - ٤ أجزاء - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٠/ ١٩٨٤ .

(٤)جمال حمدان - شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٠ - ص١١ .

(٥)المرجع السابق - المكان نفسه .

منهج تركيبي في الصف الأول» فاقتناص «روح المكان» من أجل الوصول الي «كلمة السر» في الإقليم التى تمنحه أخصّ خصائصه وتفتح أعمق أعماقه تتطلب «دراسة هذا الإقليم »ككائن عضوي حيّ غض وفي مجموعه ككل متعضون وليس كتحليل إتلافي يمزق هذا الروح أو يفتته»، وتتطلب أيضاً اعتصار «روح المكان واستقطارها حتي يمكن استقطابه في أدق مقولة علمية، وليس تشريح هذا المكان لتقديم موسوعة كتالوجية وصفية، وهذا المنهج يحتاج الي جغرافية تركيبية في المقام الأول، جغرافية علوية رفيعة «سوبر جغرافيا» لا تقف عند حدود وصف المكان، بل تتعداه الي فلسفة هذا المكان [1] .

إن هدف أي علم ـ كما اعتقد حمدان ـ هو الوصول من آلاف الفاصيل وركام المعلومات الي الكلّيات العامة والمعادلات المركّبة والقوانين الأساسية الحاكمة، كما حاول «آينشتين» اختزال الكون كله في معادلة رياضية واحدة، والجغرافيا هي علم الخاص specific لا العام generic ، علم تصويري idiographic بلغة فلاسفة المعرفة لا علم تقعيدي nomothetic، علم المتفرّد المتوحد المطلق، لا النمطي المتكرر النسبي، فلا الجغرافيا تعيد نفسها بالضبط، ولا الإقليم يكرر نفسه بصرامة، ومن ثم فلا قانون للإقليم من حيث هو، ولكن علي الجغرافيين محاولة الوصول إلي أنسب عدد من المعادلات الجزئية و«لوغاريتمات الجغرافيا» التى تعد مفتاح الإقليم وتختزل روح المكان فيه، إن لم يكن إلي المعادلة الشاملة الأحادية الحاكمة [2] .

ولا تقتصر دراسة الشخصية الإقليمية ـ في رأي حمدان ـ علي الحاضر وإنما تترامي بعيداً عبر الماضي، لأنه بالدور التاريخي وحده يمكن التعرف علي الفاعلية الإيجابية للإقليم وعلي التعبير الحر عن شخصيته الإقليمية، فالبيئة قد تكون في بعض الأحيان

---

(١)السابق ـ ص ١٢ .

(٢)السابق ـ ص ١٣ .

خرساء، ولكنها تنطق من خلال الإنسان، ولربما كانت الجغرافيا أحياناً صمّاء، ولكن ما أكثر ما كان التاريخ لسانها، وإذا كان التاريخ هو ظل الإنسان علي الأرض فإن الجغرافيا هي ظل الأرض علي الزمان، لهذا نجد أن البحث في الشخصية الإقليمية لم يكن من عمل الجغرافيين وحدهم، بل والمؤرخين أيضا [١].

ولكن طريق الجغرافيّ أكثر غنيَ وتنوعاً في المناهج والطرائق من غيره من الباحثين في الشخصية الإقليمية أو عنها، حيث يجمع تلقائياً بين المكان والزمان، ابتداءَ من الجيولوجيا حتى الأركيولوجيا ومن الفلك حتى الأنثروبولوجيا، لهذا كانت الشخصية الإقليمية مطلباً أثيراً للعديد من كبار الجغرافيين ابتداءَ من «لابلاش» في مقدمته لكتاب تاريخ فرنسا «شخصية فرنسا التاريخية» الي «أندريه زيجفريد» في كتابه عن «سيكولوجية بعض الشعوب، ومن «هالفورد ماكيندر» في كتابه «بريطانيا والبحار البريطانية» حتى «سليمان حزين» في دراساته الأصيلة والمتعددة عن البيئة والموقع في مصر عبر التاريخ، وعن حضارة مصر أرض الكنانة [٢].

وما يعطي الجغرافي الكلمة الأولي في هذا المجال أكثر من غيره من الباحثين عن الإقليم هو أنه «متخصص في اللاتخصص» لأنه الباحث الوحيد الذي يتعامل بحرية مع كل العلوم: الطبيعية والإنسانية، والذي «يقرأ كل شيء ليكتب الجغرافيا» بعد أن يربط الأرض بالناس، والحاضر بالماضي، والمادي باللامادي، والعضوي بغير العضوي، ويكاد يتعامل مع كل ما تحت الشمس وفوق الأرض، من خلال وجهة نظر موحدة وصارمة وأصيلة هي: الإقليم والفكرة الإقليمية، والجغرافيا قد لا تكون علما

(١)السابق - المكان نفسه.

(٢)فتحي محمد مصيلحي - السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور - في: فتحي محمد مصيلحي «محرر» - سليمان حزين العالم والمفكر والإنسان - الكتاب التذكاري الثاني للجغرافيين - المجلس الأعلي للثقافة - القاهرة - ٢٠٠٦ - ص ١٢٣.

«خالقاً» علي مستوي الحقائق والمعلومات، غير أنها بوظيفتها الأساسية من الربط والتعليل ورصد العلاقات «تخلق» جديداً علي مستوي الأفكار والأنماط [١].

ولكن ذلك لا يعني أبداً أن الجغرافيا علم موسوعي فضفاض أو بحر لا ساحل له، بل هي علم تكاملي لكونها الجسر الواصل بين العلوم الطبيعية والإنسانية، والذي يصل ما فصل التخصص الأكاديمي الضيق، وحتي وإن بدت علي السطح علماً موسوعياً، فإنها في الجوهر علم ملحميّ علي موسوعيته، علم العَالِم لا علم العلوم، وبهذا فهي ليست مجرد علم شموليّ مُعقّد «ناقل» دون إضافة، ولكنها في جوهرها الفلسفيّ علم بسيط أساساً، إنها علم «الفطرة» والتى تعني أساساً فكرة الإقليم، فالأرض مختلفة بطبيعتها، وسطحها ليس أملساً ككرة «البلياردو»، ولكنه أشبه بقطعة «الموزاييك»...(وفي الأرض قطع متجاورات...صدق الله العظيم) وما علي الجغرافيا إلا أن تطّلع وتطالع وترصد وتدرس هذا الاختلاف، ومن هذه الطبيعة جاء قدم الجغرافيا منذ أولي مراحل المعرفة الإنسانية، ثم كان استمرارها كعلم مستقل عبر العصور لا غني عنه قط، ولا بديل له علي الإطلاق [٢].

طبيعة الشخصية الإقليمية

كان حمدان يري أن طبيعة الجغرافيا الكاملة الكامنة لا تتحقق في شيء كما تتحقق في دراسة الشخصية الإقليمية، والأخيرة ـ عنده ـ ليست مجرد تقرير حقيقة علمية مطلقة يمكن إخضاعها تماماً للقياس الرياضي والإحصائي، رغم اعتمادها أساساً علي مادة علمية موضوعية بحتة، إنها عمل فني بقدر ما هي علمي، كما كتب «جلبرت» أحد دعاة الشخصية الإقليمية «إن الجغرافيا هي فن التعرف علي شخصيات الأقاليم ووصفها وتفسيرها» وأن «شخصية الإقليم كشخصية الفرد يمكن أن تنمو وتتطور

(١)جمال حمدان ـ شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ـ مرجع سبق ذكره ـ ص١٤.

(٢)المرجع السابق ـ ص ١٥ .

وأن تتدهور، ووصفها لا يقل صعوبة»[١].

الشخصية الإقليمية أشبه شيء بالشخصية الإنسانية- فالشخصية - هذه وتلك - مركب معقد للغاية من عدد ضخم من العناصر وتوليفة معينة من السمات والقسمات والملامح والمعالم، فإذا اشتركت شخصيتان مثلا في الغالبية من هذه العناصر والقسمات، ولكن اختلفتا في قلة منها مهما تضاءلت، فليس «علينا جناحٍ» أن نتكلم عن «تفرد» الشخصية في كل منهما رغم التشابه الواسع المدى، ودون أن يعني ذلك أي تنافر أو تضاد بينهما[٢].

لكن حمدان رأي أن «فن» تناول المادة العلمية لا يكفي وحده للتشخيص الإقليمي، بل لا بد من إطار من «فلسفة المكان» يحدد هذه الشخصية، بعدما اتفق مع «دبنام» حين عرّف الجغرافيا بأنها «فلسفة المكان» ومع «أندريه شوللي» الذي اعتبر الفكرة الجغرافية «نوعاً من فلسفة الإنسان باعتباره الساكن الرئيس لكوكب الأرض، ومع «ماكيندر» عندما كتب عن «الجغرافيا الفلسفية» لكن «حمدان» يوضح أن هذا أو ذاك لا يعني فلسفة غامضة محلّقة، بل فلسفة عملية واقعية، «قد ترتفع برأسها فوق التاريخ ولكن أقدامها تظل راسخة في الأرض» فلسفة تحدّق بمثل ما تحلّق، وما يؤكد ذلك أنه لا انفصال بين الجغرافيا بحالٍ عن صيغة أو صبغة فلسفية ما منذ أن قال «سترابو» أن الجغرافيا من عمل الفيلسوف، الي أن قال «كون» إنما الجغرافي الجيد فيلسوف[٣].

وقبل أن يوضح «حمدان» ارتباط الجغرافيا بالفلسفة - مما يجعل لها منهجاً خلاسياً يتأرجح ما بين علم وفن وفلسفة - يبادر فيذكّر بأن الجغرافيا ذاتها وبطبيعتها علم متنافر غير متجانس في مادته الخام، ألا وهي نتائج العلوم الأخري: الطبيعية والبشرية، ومن

(١)السابق - المكان نفسه .

(٢)السابق - ص ١٦ .

(٣)السابق - ص ٢٣ .

ثم فليس من المستغرب أن يكون كذلك في منهجه، ويدعم موقفه بمقولة «ماكيندر» أن الجغرافيا فن وفلسفة معا، ومقولة «ددلي ستامب Stamp» أن الجغرافيا علم وفن وفلسفة« مضيفاً أنها: علم بمادتها فن بمعالجتها وفلسفة بنظرتها، وهذا المنهج المثلث يعني ببساطة انتقال الجغرافيا من مرحلة المعرفة (العلم) الي مرحلة الفكر (الفلسفة) مروراً بمرحلة (المعالجة)، تماما كالجبل الذي نبدأ تسلقه من قاعدته مروراً بسفحه وصولاً الي قمته [١] كما يعني الانتقال من جغرافية الحقائق المرصوصة الي جغرافية الأفكار الرصينة [٢].

الجغرافيا الإقليمية الحمدانيّة

اعتقد «حمدان» أن الطبيعة المركّبة لعلم الجغرافيا لا تتحقق تحققاً كاملاً كما تتحقق في الشخصية الإقليمية، وأن دراسة الشخصية الإقليمية تبدأ حيث تنتهي دراسة الجغرافيا الإقليمية التقليدية بالمعنى المدرسيّ المعروف، ثم تتجاوزها لتمثل التتويج القمّيّ والعلويّ لها، الأولي تحدّق والثانية تحلّق، لذلك فهي أعلي مراحل الجغرافيا والفكر الجغرافي. فإذا كانت الجغرافيا الإقليمية تهتم أساساً بدراسة «جسم الإقليم» فتتناوله علي الطريقة الأكاديمية بالتشريح والتحليل لتحدد أقاليمه الثانوية ودون الثانوية وتصف معالمه وملامحه النوعية وتوزيعاته وعلاقاته المكانية، فإن هدف الشخصية الإقليمية هو «روح الإقليم» قبل جسمه وبعده، الجغرافيا الإقليمية «العادية» هي وصف المكان، بينما الشخصية الإقليمية هي فلسفة المكان، الأولي تقريرية، والثانية تجاوزية علوية super-geography [٣].

---

(١)أحمد محمد عبد العال ـ وظائف المدن المصرية:تصنيف وظيفي مقترح ـ دار النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٨٩ ـ ص ١٥.

(٢)جمال حمدان ـ شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ـ مرجع سبق ذكره ـ ص١٧.

(٣)المرجع السابق ـ المكان نفسه.

وللتدليل علي الفرق بين الجغرافيا الإقليمية «العادية والشخصية الإقليمية أن الجغرافي قد يدرس - علي البعد أو علي الورق - إقليماً ما دراسة أكاديمية مستفيضة، يحدد خطوط التضاريس والجيولوجيا ويحلل المناخ والنبات والتربة، ويصنّف ملامح الإنسان ومعالم السكان والإنتاج والاقتصاد وغيرها، حتى إذا ما أتاه زائراً علي الطبيعة وجد نمطاً من الحياة الجارية اليومية يرتبط بصميم البيئة الجغرافية ولكنه هو شخصياً يجهله ولا تسعفه فيه دراساته السابقة عن ذلك الإقليم، هذه الحلقة المفقودة هي بالدقة روح المكان وجوهر الإقليم [1].

ودراسة الشخصية الإقليمية بهذا المفهوم لا تجبّ الجغرافيا الإقليمية ولا تلغيها، وإنما تكملها وتصحح عيوبها وقصورها، وكلتاهما علي أية حال ناقصة بغير الأخرى، ومن ناحية فليست الشخصية الإقليمية دراسة ذاتية موضوعية، ولا هيّ تقديرية أو تقييمية بدل التقريرية، وإنما هي في الأساس والجوهر تقييم علمي للدور الجغرافي وللنمط الجغرافي وللفاعلية الجغرافية، إنها جغرافية طموح تتجاوز الجغرافيا التقليدية لكنها لا تتجاوز المكان ولا العلم [2].



(١) السابق - ص ١٨ .

(٢) المرجع السابق - المكان نفسه .

المبحث الثالث

الشخصية الإقليمية
للعالم العربي



في العام التالي لنشر «حمدان» مقالته الرائدة «هذه الجغرافية» أصدر في عام ١٩٥٨ كتاباً يتألف من ثلاث دراسات، أولاها عن: الشخصية الإقليمية للوطن العربي، وثانيتها عن الوحدة الإقليمية للعالم العربي [١] بحثاً عن «فلسفة مكان» هذا الإقليم التى يمكن استقطابها في معادلة إقليمية تلخص «روح المكان» فيه، وذلك للتعرف علي شخصيته الإقليمية التى تميزه عن غيره من أقاليم العالم الأخرى . وقد احتاج «حمدان» لاستقراء «كل ثنايا الحقيقة الطبيعية وطوايا الحياة البشرية» في المنطقة، لا في الحاضر فحسب، وإنما كذلك في الماضي، لأن الزمن ـ في اعتقاده ـ هو البعد الرابع للإقليم، مثلما أن التاريخ هو البعد الرابع للجغرافيا، ولأن الجغرافيا التطبيقية applied - الهدف النهائي للجغرافيا المعاصرة لا يمكن إلا أن تبدأ من الجغرافيا النظرية الإقليمية [٢] .

وقد تساءل حمدان: هل للعالم العربي شخصية إقليمية متفردة يتميز بها عن غيره من مناطق العالم؟ وهل له خصائص تفارق بينه وبين غيره ـ خصائص تتكرر وتتواتر في مختلف نواحي وجوده؟ وقبل أن يجيب عن هذين التساؤلين أقرّ «حمدان» بأنه ليس من الضروري أن يكون لكل منطقة شخصية إقليمية متفردة، وليس من الضروري أن تكون الشخصية الإقليمية للمنطقة كاملة التفرّد والتمايز عن غيرها.

ومع ذلك فإنه لا مفر من اعتبار العالم العربي واحداً من بين المناطق التى تمتاز بشخصية إقليمية متفردة بدرجة ليست أقل من مذهلة، فهناك نغمة أساسية وإيقاع مشترك يرين علي جميع نواحي الوجود الطبيعي ويتكرر بإلحاح في كل جوانب الحياة البشرية في الماضي والحاضر، هذا القاسم المشترك الأعظم هو أن العالم العربي إقليم اتصال وجبهة التحام ومنطقة التقاء بين عدة وحدات إقليمية علي سطح الأرض [٣] .

(١) جمال حمدان ـ دراسات في العالم العربي ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٨ .

(٢) المرجع السابق ـ ص ٣.

(٣) السابق ـ ص ٧.

ولا تقتصر هذه الصفة الأوّلية علي محتويات الإقليم الداخلية من طبيعية وبشرية، بل وتنصرف الي الموقع الخارجي كذلك، فالعالم العربي إقليم اتصال مورفولوجياً ووظيفياً، موقعاً ومناخاً ونباتا، بنية وتركيبا، حيوياً وجنسياً، في التاريخ والسياسة، في الحضارة والثقافة، ولا شك أن مجموعتين رئيستين من الضوابط وهما: الموقع الخارجي والخصائص الداخلية هي المسؤولة عن هذا [1].

محددات الشخصية الإقليمية للعالم العربي

حدد «حمدان» خاصية العالم العربي كإقليم اتصال في عناصر النواحي الطبيعية والبشرية والتاريخية والسياسية كما يلي:

- النواحي الطبيعية، وتتمثل في الموقع الفلكي للعالم العربي، وفي مناخه ونباته، وفي جيولوجيته.

- النواحي البشرية، وتتمثل في سكان العالم العربي ومعموره، وفي اقتصاده واجتماعه، وفي نواحيه الجنسية والدينية.

- النواحي التاريخية والحضارية.

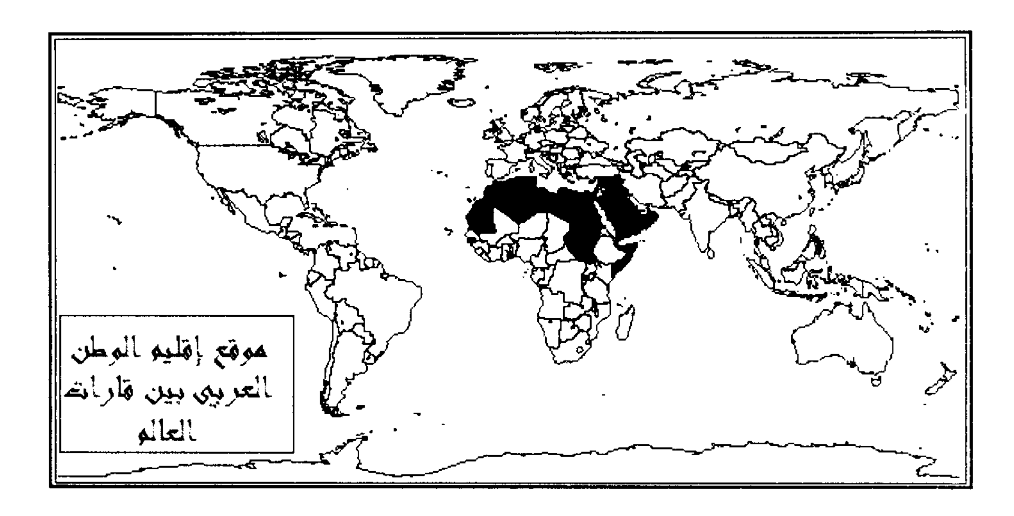
- النواحي السياسية.

أولا: النواحي الطبيعية:

١ ـ من حيث الموقع الفلكي أو المطلق أي موقع العالم العربي بين توزيعات الأرض الكبرى الذي يشغله العالم العربي في كتلة العالم القديم هو موقع فريد، وهي الكتلة التي تأخذ شكل متوازي أضلاع ضخم، يترامي العالم العربي عبر وسطه الهندسي تقريباً، ويمثل قلبه أو صرته، لأنه حجر الزاوية أو العقدة القارية الضخمة التى تلحم فصوصه

(١) السابق ـ المكان نفسه.

الكبرى الثلاثة: آسيا وأفريقيا وأوربا، وهو الجسر الأرضي الأول والأكبر داخل هذا العالم.



شكل رقم (١)

وليس إقليم العالم العربي بموقعه الفلكي إقليم اتصال بريّ فقط، ولكنه أيضا إقليم اتصال بري ـ بحري، حيث تتخلله ثلاثة مسطحات مائية كبرى: البحرين المتوسط والأحمر والخليج العربي، فالإقليم بوضوح ـ كما خلص حمدان ـ مجمع الماء ومفرق اليابس [١].

٢ ـ ومن حيث المناخ والنبات يمثل العالم العربي إقليم اتصال بكل معنى الكلمة؛ لأنه إقليم انتقال من المداريات إلي المعتدلات، فهو بحكم عروضه الوسطى يقع في جبهة التحام الكتل الهوائية المداريّة والقطبيّة، والقاريّة والبحريّة، أو في جبهة الافتراق بين التجاريّات والعكسيّات، حيث تتناوب هذه القوى والمؤثرات السيطرة علي الإقليم من فصل إلى فصل، ومن ثم يضم هذا الإقليم نوعين مناخيين أساسيين: النوع

(١) السابق ـ ص ٨.

الصحراويّ، الذي يشغل معظم رقعته، والنوع المتوسطيّ الذي يتوّج النوع الصحراويّ بإطار هامشي في ناحية الشمال الغربي، وإن كان النوع الصحراويّ يتعدّل محلياً إما بارتفاع إلي مناخٍ جبليّ في الشمال وموسميّ في الجنوب من الجزيرة العربية، وإمّا بالمياه الدخيلة أو الواحات المتدخّلة النابعة من مناخات خارج مناخ الصحراء ولكن الواقعة داخله كالرافدين والنيل [1].

ويترتب علي الصفة الانتقالية للمناخ في إقليم العالم العربي أن المزروعات فيه تشكل مركبا من المحاصيل الانتقالية أساساً، أي تلك التى تجمع بين خصائص المحاصيل المدارية والمحاصيل الباردة، ومن ثم يمثل العالم العربي إقليم اتصال بين عوالم زراعية متفاوتة يأخذ من كل منها بمركبٍ زراعيٍ معين.

٣ ـ أما من حيث الناحية الجيولوجية فمن المؤكد أن العالم العربي يمثل إقليم اتصال، فجيولوجية الإقليم أساساً هي التقاء القديم بالحديث، النواة الأركيّة بالالتواء الألبيّ، أو «جندوانا» ب «التيشس»، بكل ما يعنيه كل منهما من مركبّ معدنيّ خاص، ومن ثم فالجزء الأكبر من رقعة العالم العربي رصيف جندوانيّ قديم، تواضع لفرط قدمه الي هضبة أو سهل تحاتي، عمل كنواةٍ نمت حولها من الشمال حلقة جبلية حديثة عالية، ويتفق الرصيف مع الصحراء، والالتواء مع مناخ البحر المتوسط، بحيث ضبطت ملامح التضاريس الكبرى توزيع تفاصيل النطاقات المناخية وشكلتها الي حد معين [2].

ثانيا: النواحي البشرية:

١ ـ من حيث السكان والمعمور يتفرد إقليم العالم العربي بأنه يمثل منطقة اتصال بين محورين متناقضين متقاطعين هما القاطع الصحراوي المتصل الذي يكاد يمثل اللامعمور ـ الصحراء الكبرى وصحراء العرب ـ كجزء من نطاق صحارى منتصف

(١) السابق ـ ص ٩.

(٢) السابق ـ ص ١٤.

العالم، وقاطع «خط الاستواء السكاني في العالم القديم الذي يمثل عامود المعمور الفقري في هذا العالم»[١].

٢ ـ ومن حيث المجال الاقتصادي والاجتماعي يتفرد إقليم العالم العربي مرة أخرى بأنه يمثل إقليم اتصال، فكنتيجة للنمط الاكيوميني تتلاقى الزراعة والرعي على قدم المساواة، الزراعة المطرية المتوسطية من الشمال والزراعة المدارية الفيضية من الجنوب، والرعي من الشرق ومن الغرب ولهذا ـ ومن الناحية الاجتماعية ـ يتداخل الفلاح والراعي بالطريقة نفسها، وليس في العالم القديم منطقة تتخلل الزراعة الرعي فيها بالنمط والدرجة نفسها التي توجد في العالم العربي، مما يؤكد الشخصية المتفردة للعالم العربي كإقليم اتصال في المجال الاقتصادي والاجتماعي[٢].

٣ ـ أما من حيث السلالة والدين فيتفرد إقليم العالم العربي مرة بأنه يمثل منطقة اتصال بين كتل السلالات ومصباً للحركات الجنسية لوقوعه بين مواطن السلالات الثلاث: المغولية والقوقازية والزنجية، وكان لموقعه الأوسط في صرة العالم القديم، ولنمط تضاريسه «المَمَري» أثر كبير في جعله «ملتقي البشرية» أكثر منه معبر أو ممر جنسيّ، وفضلا عن كونه مصبا للحركات الجنسية فإنه ـ وبحق ـ منبع للحركات الدينية ومركز لتصديرها، كمنطقة وسطاً ظهرت فيها الأديان السماوية الثلاثة ثم انتشرت في كل أرجاء العالم: القديم ثم الجديد[٣].

ثالثاً: النواحي التاريخية والحضارية:

١ ـ يعتبر الدور التجاري أبرز ملامح تاريخ إقليم العالم العربي، وذلك انعكاساً لموقعه المطلق كعقدة قارية برمائية وموقعه النسبي كحلقة وسطى بين قطبي المعمور:

---

(١) السابق ـ المكان نفسه.

(٢) السابق ـ ص ١٦.

(٣) السابق ـ ص ١٧.

المعتدلات والموسميات، مما أعطاه دور الوسيط التجاري الوحيد أو الرئيس في العالم القديم، بين آسيا الموسمية وأفريقيا المدارية وأوربا المعتدلة، ولقد كان موقع العالم العربي أكثر أهمية من موضعه، وهذا الفارق بين قيمة الموقع والموضع يرجع في أساسه الي شخصية الإقليم الكبرى كمنطقة اتصال [1].

٢ ـ أما الشخصية الحضارية لإقليم العالم العربي فتؤكد تفرده كإقليم حضاري، فقد كانت البيئة الفيضية مشتلاً للزراعة وحضانة للحضارة، حيث تم تفريخ التاريخ، وكانت البيئة الصحراوية الدرقة الكثيفة الواقية، وبفضل الموقع الأوسط أمكن لهذا المركب الحضاري أن ينتشر بعيدا [2].

رابعاً: النواحي السياسية

يبدو العالم العربي في عالم السياسة مخلوق فذ الشخصية فريد من نوعه، ومن ميزات شخصيته السياسية أن فيها تتلاقي معظم خيوط شخصيته الإقليمية في النواحي الطبيعية والبشرية، ومن ثم فالشخصية السياسية للعالم العربي هي مفتاح إجمالي لشخصيته الإقليمية الكاملة، حيث تتضح شخصية هذا العالم كإقليم اتصال [3].

وقد توسع المغزى الكامل لهذه الشخصية عبر مراحل طويلة ارتبطت بتوسع العلاقات المكانية للإقليم، والتى توسعت بدورها بتوسع المعمور منذ فجر التاريخ، وهذه المراحل هي:

المرحلة النهرية: منذ فجر التاريخ وطوال التاريخ القديم، حين كانت رقعة العالم المعروف لا تزيد علي العالم العربي تقريباً، وكان كل تاريخ الشرق الأوسط يختزل نفسه في معادلة واضحة هي الصراع بين الرمل والطين، كما قال بذلك «جيمس هنري

(١) السابق ـ المكان نفسه.

(٢) السابق ـ ص ٢١.

(٣) السابق ـ ص ٢٢.

برستيد»[1].

المرحلة البحرية: وبدأت قبل الميلاد بقليل، حين كانت رقعة العالم المعروف تتسع لتشمل البحر المتوسط وسواحله، وحيث كانت المعادلة التاريخية السائدة هي الصراع بين قوى البر «الفرس» وقوى البحر «اليونان»، وهما قوتان كان لابد لهما من اجتياح العالم العربي والاستيلاء عليه، ثم بعد ذلك بين «الباريثيين» ورثة فارس وروما وريثة أثينا، إلي أن ظهر الإسلام ووحد العرب عالمهم وأضافوا إليه قبل أن يحولوا منطقتهم من منطقة التحام إلي قوة أخضعت كلا من قوتي البر والبحر[2].

المرحلة المحيطية: وبدأت حين خرجت حضارة العالم القديم من حدود البحار الخارجية إلي خضم المحيط مع كشف العالم الجديد وطريق رأس الرجاء الصالح، وحدوث عملية «الأسر النقلي» الذي حوّل البحر المتوسط الي «زقاق مغلق» والممر العربي إلي «قبو مصمت» إلي أن شقت قناة السويس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فأعادت للعالم العربي أهميته كموقع.

المرحلة الكوكبية: وهي الفترة التى بدأت فيها استراتيجية العالم القديم في التأثر بوجود العالم الجديد مع خروج الولايات المتحدة من عزلتها وظهورها علي مسرح العالم القديم[3].

الوحدة الإقليمية للعالم العربي

إن التطبيق العملي للوحدة في الشخصية الإقليمية هو الوحدة الإقليمية مورفولوجياً «تركيبياً» ووظيفياً، والوحدة المورفولوجية في أقصر تعريف هي التجانس الداخلي والتنافر الخارجي، لكن ذلك لا يعني أن تفرد الشخصية الإقليمية لمنطقة ما يعطيها

(١) السابق - ص ٢٣.

(٢) السابق - ص ٢٤.

(٣) السابق - ص ٢٨.

وحدتها المورفولوجية، لأن الشخصية الإقليمية غالباً لا تأتي من التركيب الداخلي وحده، وإنما من الموقع الخارجي كذلك، وبالنسبة للعالم العربي إذا كان تركيبه لا يحقق تماماً شرط التجانس الداخلي، فإن موقعه يحقق الي حد بعيد شرط التنافر الخارجي [(١)].

الوحدة التركيبية

وإقليم العالم العربي قوي التحديد بثلاثة أنواع قوية من الحدود الطبيعية: البحر شمالاً وجنوباً، الصحراء جنوباً، والجبال شرقا وشمالاً، وكان هذا التحديد الطبيعي القوي من أهم العوامل التى حفظت علي الإقليم شخصيته عمن سواه، وبوجه خاص الجبال التى فصلت الحضارات والأجناس واللغات الإيرانية والتركية عن الإقليم، بحيث يمكن اعتبار هذه الجبال «سور العرب الطبيعي العظيم» [(٢)] فبفضل الموقع والحدود امتاز العالم العربي بدرجة كبيرة من التنافر الخارجي.

ومن حيث التجانس الداخليّ كان الإسلام أهم عامل علي الإطلاق في تاريخ المنطقة في تحقيق تجانسها البشري الأساسي، فالأساس الجنسي واحد متجانس، والتفرقة اللغوية بين حاميين وساميين لا مغزي جنسي لها، بل وتكفلت «الموجة العربية» بمحو هذه التفرقة وتحقيق توحيدها اللغوي، حتي أصبح التجانس القاعديّ - جنسياً ولغوياً ودينياً - هو قانون التركيب الداخلي في العالم العربي، رغم وجود بعض الأقليات الجنسية واللغوية والدينية، ولكنها أقليات ذات نسب عددية محدودة، ويقتصر وجودها توزيعياً علي هوامش العالم العربي إلى حد بعيد [(٣)].

أما من حيث النواحي الطبيعية فيمكن القول بأن هناك نوعاً من «التجانس المرّكب» الذي يتمثل في ذلك التنافر الذي يأخذ شكل «النظائر الجغرافية» المتتالية، فهناك ثلاثة

(١) السابق - ص ٣٨.

(٢) السابق - المكان نفسه.

(٣) السابق - ص ٣٩.

أزواج من تلك النظائر يتمثل كل زوج منها في وحدتين كل وحدة منهما متشابهة تركيبياً ووظيفياً، الزوج الأول هو البيئة الفيضية، حيث يناظر بيئة الرافدين وادي النيل في مصر، والزوج الثاني هو البيئة البحرية حيث يناظر ساحل المتوسط سواحل عمان واليمن، أما الزوج الثالث فهو البيئة الجبلية، حيث تناظر جبال كردستان نظيرتها في اليمن، والبيئة الصحراوية حيث تناظر صحراء العرب الصحراء الكبري [(١)] .

الوحدة الوظيفية

إن فكرة الإقليم الجغرافي هي أساساً تعميم اختزالي تجاوزي لا ينفي وجود فوارق محلية كثيرة، والوحدة المورفولوجية المطلقة - النظرية - شلل وموت سواء في البيولوجيا الحية أو الأقاليم الجامدة، كما أنها لا تأتي من الوحدة المورفولوجية وإنما من التباين التركيبي، والمقصود بالوحدة الوظيفية هو وجود علاقات ترابط وتفاعلات متبادلة داخل حدود وبين أجزاء المنطقة التى توجد بينها من الناحية العملية فتتكامل وظائفها [(٢)] .

والوحدة الوظيفية العربية ضرورة إقليمية بسبب طبيعة الشخصية الإقليمية للعالم العربي التى تتمثل في أن كل الخصائص والعناصر التى تجعله إقليم اتصال هي عناصر ضعف شديد له إذا لم تكن هناك هذه الوحدة الوظيفية، بينما هي في الوقت نفسه عناصر قوة كبيرة إذا تحققت هذه الوحدة الكاملة والوحدة الوظيفية العربية ممكنة إقليمياً لأنها ضرورة جغرافية وحقيقة تاريخية، فالجغرافيا أم الوحدة مثلما أن التاريخ أبوها [(٣)] .



(١) السابق - ص ٤١ .

(٢) السابق - ص ٥٨ .

(٣) السابق - المكان نفسه.



المبحث الرابع

شخصية مصر الإقليمية

يمكن اعتبار كتابه «دراسات في العالم العربي» الصادر في عام ١٩٥٨ المشتل الفكري« الذي استنبط «حمدان» منه أفكاره التى زرعها بعد ذلك في كتابة الأول عن شخصية مصر في عام ١٩٦٧، ثم في كتابيه: «العالم الإسلامي المعاصر» (١٩٧١) و«بين أوربا وآسيا..دراسة في النظائر الجغرافية» (١٩٧٣) [١]. فعندما كتب «حمدان» عن النواحي الطبيعية في شخصية العالم العربي أقر بوجود «تجانس مركب» تمثل في ذلك التنافر الذي يأخذ شكل «النظائر الجغرافية» ومنها البيئة الفيضية في كل من مصر والعراق.

وقد قارن حمدان بين هاتين البيئتين مُظهراً أوجه التشابه والاختلاف بينهما، فكلاهما واحة أو شبه واحة: صحراوية (مصر) واستبسية (العراق) ومصر أكثر عزلة من العراق، وتوجيهها طوال تاريخها كان توجيهاً آسيوياً أكثر منه أفريقياً بسبب قربها الشديد من الجزيرة العربية ووجود ممران مهمان: شمال سيناء وطريق قنا - القصير، كذلك كانت مصر كجزء من منطقة الالتحام العربية بحكم موقعها أكثر وقوعاً في أيدي القوى البحرية، بينما العراق أكثر وقوعاً في أيدي القوى البرية.

وعموما رأى «حمدان» أن مصر تنفرد في المركّب الطبيعي والبشري للعالم العربي بخصائص شخصية محلية قوية: فهي بطريقة ما تنتمي إلى كل مكان ولكنها ليست هناك كليةَ، فهي واحة ضد- صحراوية لكنها لا تعتمد علي الماء الجوفي، وهي في أفريقيا موقعاً ولكنها في آسيا وقعاً، وهي تتطلع الي البحر المتوسط ولكنها ترتبط بحوض النيل، ولعلها بموقعها وتوجيهها ومضمونها المتعدد الجوانب خير قطاع في العالم العربي يعبر عن طبيعة المنطقة الجوهرية كلها كمنطقة اتصال طبيعياً وبشرياً [٢] .

(١) جمال حمدان ـ دراسات في العالم العربي ـ مرجع سبق ذكره، وشخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، مرجع سبق ذكره، وبين أوربا وآسيا..دراسة في النظائر الجغرافية ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ .

(٢) جمال حمدان ـ دراسات في العالم العربي ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٤٢ .

ملامح شخصية مصر

أقر «حمدان» بصعوبة تركيز الشخصية الإقليمية في معادلة موجزة، لاسيما إذا كانت غنية خصبة كشخصية مصر ، ثم فند الآراء التي قالت بأن مصر «أرض المتناقضات land of paradox» و «أرض الأضداد land of anomalies» و «أرض الطغيان land of tyranny» باعتبارها آراء جزئية وسطحية، ضيقة مخلة أو مختلة، تتعدى التبسيط الساذج إلي التشويه السافر، فالذي رآه في مصر حالة نادرة من الأقاليم والبلاد من حيث السمات والقسمات التي تجتمع فيها، فقد تشبهها بلاد أخرى في بعض سماتها أو قسماتها، ولكن مجموعة الملامح ككل تجعل من مصر مخلوقاً فريداً حقا، يكاد ينتمي إلي كل مكان دون أن يكون فيه تماماً، يأخذ بالحد الأدنى - كمياً - من الحد الأقصى من الخصائص والسمات نوعياً [١].

لكن مصر تأتي عادة النموذج المثالي والمثل الكلاسيكي في كل شئ تشترك فيه، وبالتالي كثيراً ما تذهب علماً علي نوع أو عينة لأكثر من نمط أو بيئة أو إقليم، وبهذا تعود فتأخذ أحياناً بالحد الأقصي - كمياً - من الحد الأدنى من الخصائص والسمات، وبهذا وذاك تجمع بين الحد الأوسط - علي الأقل - من التعميم والتخصيص الجغرافي، من العمومية (الأصولية) والخصوصية (الإقليمية)، وليس معنى ذلك أنها تجمع بين الأضداد والمتناقضات بقدر ما أنها تجمع بين أطراف متعددة وجوانب كثيرة، بين أبعاد وآفاق واسعة تؤكد فيها «ملكة الحد الأوسط» وتجعلها «سيدة الحلول الوسطى» وأمة وسطاً بكل معنى الكلمة، ولقد كانت هذه «الوسطية» هي سر بقاء مصر وحيويتها عبر العصور، وهي التى جعلتها «فلتة جغرافية» لا تتكرر في أي ركن من أركان العالم لكونها شخصية متفردة [٢].

---

(١) جمال حمدان - شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان - الجزء الأول - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٠ - ص ٣٣.

(٢) المرجع السابق - ص ٣٤ .

ولقد فسر حمدان شخصية مصر الجغرافية الفلتة هذه بنظرية عامة تتلخص في التفاعل - إئتلافاً واختلافاً - بين بُعدين أساسين في كيانها هما: الموضع والموقع، والموضع هنا هو البيئة بخصائصها وحجمها وموارها، أي البيئة النهرية الفيضية بطبيعتها الخاصة وجسم الوادي بشكله وتركيبه، أما الموقع فهو صفة نسبية تحددها توزيعات الأرض والناس والإنتاج حولها، وتضبطه العلاقات المكانية التى تربط بين مصر وما حولها، الموضع خاصية محلية داخلية ملموسة، والموقع فكرة هندسية خارجية غير منظورة [1] .

بهذين العنصرين الجوهريين والعلاقة المتغيرة بينهما فسر «حمدان» شخصية مصر موضحاً أنهما يختلفان حينما لا يتكافأ حجم الموضع مع خطورة موقع مصر الحاسم علي ناصية العالم، وحين ينتظم الموضع قدراً ما من عزلة، في حين يفرض الموقع فيضاً من الاحتكاك؛ بينما يأتلفان في الأثر عندما يدعوان إلى الوحدة السياسية والمركزية العنيفة، ومن حيث أن زمامهما ليس محلياً تماماً، وإنما يرتبط بعوامل خارجية بعيدة، وبين هذا الشدّ والجذب تخرج شخصية مصر الكامنة كفلتة جغرافية نادرة [2] .

ملامح الشخصية الإقليمية

متناقضة النهر - الصحراء:

مصر مثال البيئة النهرية الكامل، بل البيئة الفيضية بامتياز، وهي «أكثر الفيضيات فيضية» حياتها كلها هي النهر، لا وجود لها بدونه، إن مصر في التحليل الأخير هي: النيل، وفي الوقت ذاته هي عالم الريّ الصناعي التام وتجسيم لبيئة الري المطلقة وللمجتمع الهيدرولوجي البحت، مثال النهر الكامل هي ولكنها بالدرجة ذاتها مثال الصحراء التامة، دولة النهر الأولي وأكثر الدول صحراوية في العالم، وصحاريها عينة جامعة لكل أنواع وأنماط وتنويعات الصحراء الحارة: ليثولوجياً ومورفولوجياً ومناخياً، ومن داخل هذه المتناقضة توجد عدة متناقضات أخري، فمصر تجمع بين

---

(١) السابق - ص ٣٥ .

(٢) السابق - ص ٣٦ .

نقيضي: الجفاف والحياة، إنها ماء بلا مطر، لا تنفصل عن إطار الصحراء أكثر مما تبتعد عن البحر، وأرضها مهد الزراعة، أرض المزروعات لا النباتات الطبيعية، فلا حشائش فيها ولا غابات [1].

كذلك لا تعرف مصر اللاندسكيب الطبيعي، ففي طبوغرافية الوادي المجهرية المضغوطة ـ لاسيما الدلتا ـ تختلط التضاريس الطبيعية بالصناعية الي حد كبير، بعدما تحول الانسان المصري في بيئة الري الصناعي الي عامل جغرافي موجب يغير ويشكل ويعيد تركيب اللاندسكيب الطبيعي باستمرار، ومن ثم فلاندسكيب مصر لاندسكيب بشري بقدر ما هو طبيعي، وفي منطقة الواديّ يعادل كل متر من الكنتور عشرات أضعافه في البيئات المضرسة من حيث نتائجه البشرية والحيوية.

التكاثف:

يشبه الغطاء البشري المصري من عمران وسكان إرسابة بشرية سميكة مكثفة متضاغطة لا تعرف الخلل أو الفجوات، فمنذ فجر التاريخ تبدو مصر الواديّ كأنبوب مغلق مكتظ بالسكان المتكدسين كغابة متراصة من البشر في أرخبيل غاص بالحلات والقرى والمدن، إن مصر ـ بكل سهولة وبكل تأكيد ـ كثافة لا مساحة، مثلما هي بمورفولوجيتها الطبيعية مسافة قبل أن تكون مساحة، بللورة محددة الرقعة وإن كانت مفرطة الامتداد [2].

التجانس:

التجانس بعد التكاثف هي الكلمة المفتاح داخل هذه البللورة المركزة المضغوطة، فرغم العديد من الفروقات الموضعية والمحلية والإقليمية يسود أجزاء الوادي قدر غير عادي من التشابه: طبيعياً وبشرياً وماديا، حيث يوزع النهر في هذه البيئة الفيضية كل

(١) السابق ـ المكان نفسه.

(٢) السابق ـ ص ٣٨.

شئ ويضبط إيقاعه: الغرين والماء، التربة والخصوبة، الزراعة والإنتاج، العمران والسكان، ومن ثم فإن النيل هو جغرافيّ مصر الأول، وبحكم قوانين الإرساب النهريّ تميل هذه التوزيعات الي الحد الأقصي من التجانس والتشابه، والى الحد الأدني من التنافر والتباين، وينطبق ذلك علي مناخ مصر كما ينطبق أيضاً علي تركيبها الجنسي وتوزيعها الأنثروبولوجيّ [1].

وفي كل هذه النواحي والجوانب يوجد بعض التغيير أو الاختلاف ولكن علي هوامش مصر وأطرافها، ومن ثم تبدو مصر الوادي طبيعياً وبشريا، من التضاريس والمناخ وحتي العرق والعقيدة والقرية والمدينة جسماً متجانساً الي أبعد حد ممكن، لا تطور نحو التباين التدريجي إلا علي الأطراف وحدها، حيث تبرز الملامح المحلية أو الابتعادات الخاصة عن الجسم المتجانس، سواء في المناخ أو البيئة الطبيعية أو المحاصيل الزراعية أو الحرف والمهن أو الموانى والمدن أو حتى العناصر الجنسية، لهذا تبدو مصر الوادي - من وجهة نظر الجغرافيا الإقليمية - إقليماً رئيساً سائداً واحداً علي الجملة، ينقسم فقط الي أقاليم ثانوية باهتة نسبياً، يتحدي الجغرافيّ الذي يتصدى لها بالتصنيف، الأمر الذي يلخص التجانس مثلما يؤكده [2].

الوحدة:

أدي تجانس مصر الي وحدتها، فقد كانت دائماً وعبر التاريخ وقبل أي بلد آخر بقرون أمة ذات شعب واحد تجمعه وطنية واحدة في وطن واحد علي شكل دولة أحادية، لذلك فهي أقدم أمة في أول دولة في التاريخ، وتكمن عوامل التبلور الجغرافيّ ووحدة البيئة الطبيعية والوظيفية والتجانس الأرضي والجنسي والبشري وراء هذه الوحدة السياسية العريقة، فمنذ ولدت هذه الوحدة فإنها قلما عرفت الانفراط أو الانحلال، كما لم تعرف التقسيم لا بالطول ولا بالعرض، لا في ظل الاستقلال ولا

(١) السابق - ص ٣٩ .

(٢) السابق - المكان نفسه .

حتى تحت الاستعمار، فلم تكن مصر تعبيراً جغرافياً قط ولكنها كانت دائما تعبيراً سياسياً منذ البداية وإلى النهاية [1].

المركزية:

لا جدال أن الدولة المركزية ملمحٌ مُلحٍ وظاهرة جوهرية في شخصية مصر، لا تنفصل عن ظاهرة الوحدة نفسها، فبقوة المركزية الجغرافية والوحدة الوظيفية وطبيعة الري في البيئة الفيضية، وبرغم الامتداد الطوليّ الخطيّ فرضت المركزية السياسية والإدارية ثم الحضارية نفسها فرضاً في شكل حكومة طاغية الدور فائقة الخطر، وبيروقراطية متضخمة متوسعة أبدا وعاصمة كبرى صاعدة، منذ الفرعونية وحتي اليوم، بحيث أصبحت رباعية: المركزية، الحكومة، البيروقراطية، والعاصمة أطرافاً أربعة لمشكلة واحدة مزمنة [2].

الطغيان:

كانت السمة الأكثر سلبية في شخصية مصر هي تحول المركزية الي استبداد فطغيان، وهما حقيقة واقعة في تاريخ مصر من بدايته الي اليوم، مهما تبدلت الواجهات والشكليات، ويمثل كل ما ذكر من ملامح شخصية مصر سلسلة متداعية من السمات الأساسية والخصائص البارزة في هذه الشخصية من الداخل أو علي مستوي الموضع، أما من الخارج أو علي مستوى الموقع فإن هذه الشخصية لا تقل في خصائصها تبلوراً وتميزاً وتفردا، لكن ملامح الموقع تعد أخطر مفاتيح شخصية مصر، التى يتمثل في تفاعل جوانب موقعها مع جوانب موضعها، إما في تلاقٍ وتلاقح، أو في تعارض وتناطح، وهو التفاعل الذي خرجت مصر منه وهي واسطة العقد.



(١)السابق ـ ص ٤٠ .

(٢)السابق ـ ص ٤١ .

المبحث الخامس

الإقليمية وإقليم المدن



قسّم «حمدان» كتابه الرائد «جغرافية المدن»[1] الي أربعة أبواب خصّص رابعها لإيكولوجية المدن الإقليمية في فصلين عنوانيهما: إقليم المدينة والإقليمية والمدن، وفي مقدمة الطبعة الأولي من كتابه أقر حمدان بأن جغرافية المدن بدأت من الاهتمامات «الإقليمية» العامة أولا مثلما «بدأ علم الجغرافيا ذاته من الإقليم»[2].

وفي المرحلة التكوينية من مراحل قصة جغرافية المدن (وهي إحدى مراحلها الثلاث بين مرحلتي: النشأة والنضج) ذكر حمدان أن «فلير Flure» كان صاحب أول محاولة لتصنيف أنماط وتحديد أقاليم لمورفولوجية المدينة الداخلية في غرب أوربا في عام ١٩٢٠، فكان له الفضل في تغذية الجانب المهمل من دراسة جغرافية المدن ألا وهو جغرافية المدن الإقليمية، كما أضاف «ماكنزي .Mckenzie,R» في كتابه The Metropolitan Community إضافة مهمة للدراسات المدنية الإقليمية[3].

ولقد بدأت جغرافية المدن ـ في رأي حمدان ـ كعلم ألماني خالص مثلما بدأ علم اجتماع المدن كعلم أمريكي بكل معني الكلمة، وقد درست جغرافية المدن المدينة من الداخل، إلا أن علم اجتماع المدن هو الذي نفذ الي قلبها وحلل تركيبه، وأعطي الدارسة شكلها ومنهجها الأول والأخير، ألا وهو فكرة المناطق الطبيعية (الشكل) والنظرية الحلقية (المنهج) ولم يكن ذلك المنهج في الحقيقة سوى الإطار الإقليمي للمدن[4]. كذلك بدأ الجغرافيون دراساتهم للمدن من الأرض ـ الإقليم العام لمنطقة المدينة ـ فاهتموا بالموقع والحجم والنمو والوظائف، لكن الاجتماعيين بدأوا من الناس، أي من مجتمع المدينة الذي وجدوه بطبيعته يتنضد في إطارات صغرى

(١) جمال حمدان ـ جغرافية المدن ـ ط١ ـ القاهرة ـ بدون ناشر ـ د.ت، وله طبعة ثانية هي: جمال حمدان ـ جغرافية المدن ـ ط٢ ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٧.

(٢) جمال حمدان ـ جغرافية المدن ـ ط١ ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٢.

(٣) المرجع السابق ـ ص٦.

(٤) المرجع السابق ـ ص٨.

ولكنها مساحية «إطارات إقليمية» [١].

وفي مرحلة النضج عرفت جغرافية المدن خمس خصائص - يوضح حمدان - كانت رابعتها دخول هذه الجغرافية باباً جديداً هو: إقليم المدينة City Region والمجال المدني Urban Field وما ارتبط به من دراسة الإقليمية Regionalism أو «الريجيوناليزم» وفي هذا المجال أضافت جغرافية المدن إلى أنواع الأقاليم في الجغرافيا إقليما جديدا أصبح علي جانب كبير من الأهمية العلمية هو إقليم المدينة [٢]. ويعتبر كتاب الاقتصادي الشهير أوجست لوش« .Losch,A» عن اقتصاديات التوطن [٣] بحثاً تركيبياً في إقليم المدينة، وقد قاد الاهتمام بإقليم المدينة والإقليمية الي دخول جغرافية المدن المجال التطبيقي، فكانت أول من دخلها من فروع الجغرافيا رغم كونها أحدثها نشأة.

وفي تعريفه لجغرافية المدن اعترض حمدان علي تعريفها بأنها علم توزيع الظاهرات المُدنية علي سطح الأرض، فالجغرافي - في نظره - وإن بدأ من التوزيع والنمط الخاصين بالمدن، إلا أنهما بالنسبة إليه وسيلة لفهم شخصية الإقليم المُدني لا غاية [٤]، بينما كان اعتراضه علي تعريف جغرافية المدن بأنها علم العلاقة بين الظاهرات المُدنية وغيرها من الظاهرات الطبيعية والبشرية أنه إذا كانت العلاقات هي الهدف فإن دراستها تؤدي الى دراسة القوى الاجتماعية والتوازن أو الصراع بين المجموعات الاجتماعية، ويصبح هدفها هو المجتمع وتنظيمه لا إقليم المدينة كظاهرة جغرافية [٥].

وفي إجابته عن سؤاله: ما هي جغرافية المدن؟ أكّد حمدان علي ما سبق ذكره في أعماله

---

(١) المرجع السابق - ص ١١.

(٢) المرجع السابق - ص ١٣، و: أحمد عبد العال - دراسات في الفكر الجغرافي - مرجع سبق ذكره - ص ٣٣.

(3) Losch .August, Economics of Location, A Pioneer Book in the Relation Between Economic Goods and Geography,Trans.,Haven,1954.

(٤) جمال حمدان - جغرافية المدن - ط١ - مرجع سبق ذكره - ص ١٥.

(٥) المرجع السابق - ص ١٩.

السابقة وهو أن الجغرافي عليه أن يطالع سطح الأرض المتفارق بطبيعته من مكان لآخر ليستشف منه «كل وحدة تباينية ذات شخصية متميزة عمن سواها» فيحدد معالمها ومحتوياتها ومضمونها، ويعلل مقومات هذه الشخصية، أي هي علم الأقاليم: علم الكورولوجيا Chorology، ودور جغرافيّ المدن في هذا أن يتقصّى التباين الأرضي كما يأتي ويتحدد من ناحية المدن، أي مساهمة الحقيقة المُدنية في إظهار التباين الأرضي وتمييز الأقاليم، فهو يسعى وراء الشخصيات المُدنية الإقليمية [١].

وقد تكون المساحة الخاضعة للدراسة هي رقعة المدينة وحدها للتعرف على الشخصيات المحلية داخلها، وقد تكون منطقة كبيرة المساحة تتعدد فيها المدن فيكون التعرف هنا على أقاليم الشخصية أو الشخصيات المُدنية داخلها، كما تستشف من أنماط وأنواع الشخصيات المحلية داخل كل مدينة فيها من ناحية، ومن وضعها الخاص في أجزاء المنطقة المختلفة من ناحية أخرى، وهذا قد يأتي من جانب طبيعة علاقة المدينة بريفها المحيط أو من صورة وكثافة انتشار وتوزيع وتوقيع هذه المدن في الإقليم [٢].

وقد أكد «حمدان» أفكاره السابقة في كتابه عن المدينة العربية الذي اعتبره «محاولة أولى لعمل مسح إقليمي للمدينة العربية في إطار منهجي محدد وفي حدود معينة» لا تتعرض لجغرافية المدن الداخلية، وإنما تقصر نفسها على الدراسة الإقليمية الخارجية. ولهذا جاء الباب الثاني من الكتاب «إقليمياً»...تدور فصوله مع قطاعات شبكة المدن العربية كل حسب وحداته الجغرافية الطبيعية دون إغفال للوحدات السياسية [٣].

والشخصية الإقليمية كما تساهم في تحديدها وتشكيلها المدينة هي هدف جغرافيّ المدن، فالمدينة بتنوع تباينها وتمايزها الداخلي وبنوع تباينها وتمايزها في وضعيتها

(١)المرجع السابق ـ المكان ذاته.

(٢)المرجع السابق ـ المكان ذاته.

(٣)جمال حمدان ـ المدينة العربية ـ معهد الدراسات العربية العالية ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ ـ ص ٢.

وعلاقاتها في الإقليم الذي توجد فيه، قد تكون مفتاحاً لشخصية الإقليم، فالتركيب الداخلي والتباين المكاني داخل المدينة الإسلامية يختلف عنه في المدينة الأمريكية أو مدينة غرب أوربا، وهو في مدينة العصور الوسطى يختلف عنه في المدينة المعاصرة، وهذا التباين المكاني المُدني يمكن أن يتخذ في كل حالة أساساً لاستقراء أقاليم جغرافية متمايزة، ومجموع المدن في منطقة ما، كما يتألف من صورة أحجامه وأبعاده وعلاقاته يمثل أساساً متغايراً من منطقة لأخرى، أي عنصرا من عناصر الشخصية الإقليمية، بحيث يمكن أن يتخذ مقياساً جزئياً لتقصي أقاليم جغرافية متمايزة [١].

وفي تقديمه لمقال «لابلاش» المشهور عن الشخصية الجغرافية لفرنسا ضغط «فلير» علي الفارق في صورة مجتمع المدن بين فرنسا وانجلترا كعنصر مفارق مميز للشخصية الإقليمية لكل منهما، شخصية فرنسا المدنية بخصائصها المتمثلة في مركزية باريس الطاغية وندرة الأحجام الكبيرة وسيادة الأحجام المتواضعة، وشخصية انجلترا المدنية بخصائصها المتمثلة في تعدد المدن الضخمة - رغم ضخامة لندن، فضلا عن الفارق العام في درجة التمدين، ومن ثم التفارق في التطور الصناعي والأساس الجغرافي والتاريخي للزراعة، ويضيف حمدان مثالًا آخر عندما قارن بين هولندا التجارية ذات العدد الأكبر من الأحجام الضخمة، وبين بلجيكا الصناعية ذات العدد الأكبر من المدن المتوسطة والصغيرة، كانعكاس وصورة لفروق في الشخصية الإقليمية [٢].

والتباين الإقليمي المُدني - كما رأى حمدان - يساهم في التباين الإقليمي العام، وقد يعبر عن شخصية الإقليم، وهو طابع مادي ملموس لشخصية الإقليم وروح المكان، وقد يكون هذا التباين المُدني ألصق بتحديد الأقاليم البشرية والحضارية، ولكنه أيضاً

(١) جمال حمدان - جغرافية المدن - ط١ - مرجع سبق ذكره - ص ٢١ و: أحمد محمد عبد العال - الأبعاد المكانية للخصائص الوظيفية للمدن المصرية - مكتبة النهضة العربية - القاهرة - ١٩٩٠ .

(٢) جمال حمدان - جغرافية المدن - ط١ - مرجع سبق ذكره - ص ٢٠ .

كشّاف للنواحي الطبيعية أحيانا، وجغرافية المدن باختصار هي التباين الأرضي المُدني.هي كورولوجية المدن.هي رسم أقاليم المدن المتمايزة، أي التعرف علي الشخصيات الإقليمية المُدنيّة، ولما كانت المدينة ظاهرة اصطناعية من صنع الحضارة، فأقاليم المدن هي في النهاية أقاليم حضارية أو أقاليم الحضارة المُدنيّة [1].

وهكذا اعتنق «حمدان» التعريف الكورولوجي لجغرافية المدن ولكنه تساءل: هل هذا التعريف يضمن للمادة استقلالها الخارجي ووحدتها الداخلية؟ وإلى أي حدٍ يختلف عن التعريفين: التوزيعيّ والإيكولوجيّ؟ وفي إجابته عن هذا التساؤل أقر حمدان بأن قلب التعريف الكورولوجيّ هو المنطقة المُدنية ذات الشخصية المُدنية المتفرّدة التى مثلما تتركب من عناصر مميزة فإنها ذات مغزى ودلالة من وجهة نظر تفرد الشخصية والتباين، وهذه العناصر تتمثل إما في النمط (التوزيع) أو العملية (العلاقة الإيكولوجية). ولهذا تعتمد كورولوجية المدن علي توزيع الظاهرات المدنية وعلى إيكولوجية المدن في تفسير هذه الظاهرات وتقويمها [2].

والتوزيع والعلاقة لحمة الإقليم وسداه، ولكن كل منهما ليس أكثر من مادة خام تشكل في صورة وروح جديدة روح الإقليم المُدنيّ والشخصية الإقليمية، فكورولوجية المدن ليست توزيع الحقيقة المدنية ولا هي إيكولوجية المدن، كما أنها ليست مجموعهما معاُ، والتركيز دائما علي الإقليم لا علي الظاهرة التوزيعية التى تملأ هذا الإقليم أو العلاقة الإيكولوجية التى تسوده، التركيز علي شخصية الإقليم كما تتحدد بتلك الظاهرة أو العلاقة [3].

ورغم اعتراف حمدان بوجود اختلافات مذهبية منهجية داخل التعريف

(١)المرجع السابق ـ ص ٢١.

(٢)المرجع السابق ـ المكان ذاته.

(٣)المرجع السابق ـ ص ٢٢.

الكورولوجي حول مفهوم الإقليم ومضمونه (أساس انتخاب الظاهرات) وتبلور هذه الاختلافات في مدرستين هما المدرسة الأساسية «مدرسة الإقليم» بالمعنى المعروف والتى تدرس كل ظاهرة في المدينة مادية وغير مادية لها دلالة تباينية وتمييزية في المكان، ومدرسة «اللاندسكيب» التى تفهم الجغرافيا على أنها علم الأشياء لا الإنسان، والإقليم على أنه الظاهرة المرئية الملموسة بالحواس أي المادية فقط، إلا أن حمدان لم ير مفراً من اعتماد التعريف الكورولوجي لجغرافية المدن، وإن أضاف إليه بذكاء مضمون التعريفين التوزيعي والإيكولوجى [1] فمن الخير أن نقبل كل أساس تبايني ماديّ وغير ماديّ له مغزى معقول في تشخيص الإقليم الـمُدنيّ وتحديد شخصيته، فالإقليم هو الإناء الذي يصب فيه المجتمع ولا مفر من أن يتشكل به بدرجة أو بأخرى [2].

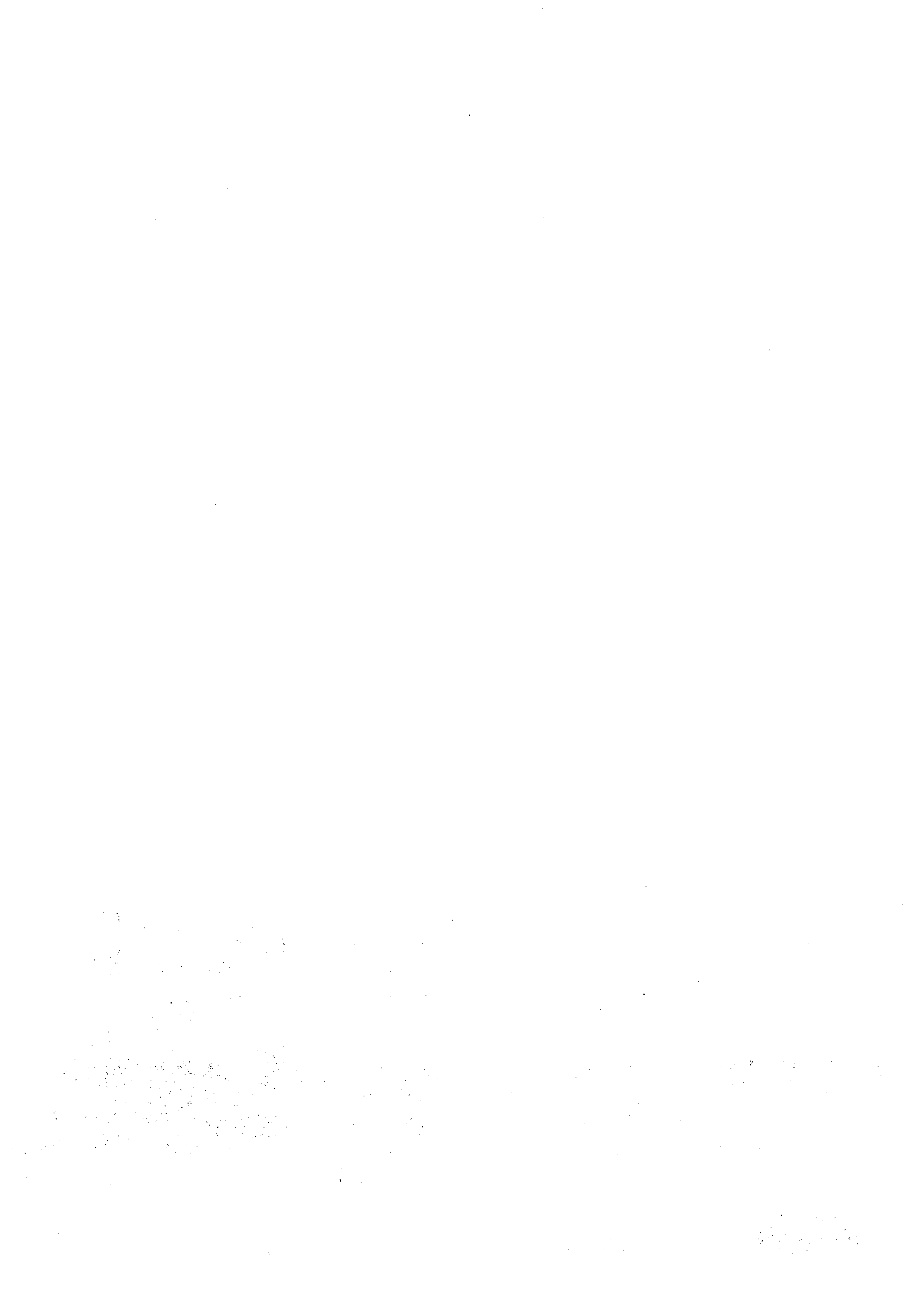


(١)المرجع السابق ـ ص ٢٤.

(٢)المرجع السابق ـ ص ٢٨.

المبحث السادس

الإقليمية والحكم المحلي



في مقاله الرائد عن التخطيط الإداري المصري [1] كتب حمدان عن شخصية «الإقليم المصري» وطغيان المركزية العنيفة فيه وأسباب تلك المركزية المتمثلة إما في صورة الإقليم كوادٍ واحيٍ أو في طبيعته الجغرافية كبيئة فيضية، تلك المركزية - التي اتخذت صورة تضخم مُرضيّ في العاصمة أو العاصمتين مع ضمور وهزال في الأقاليم - والتى أصبحت تمثل خطراً حقيقياً علي التوازن الإقليمي في البلد [2].

وقد استوعبت مدينتا: القاهرة والإسكندرية في عام .١٩٦ (المقال كتب في عام ١٩٦١) نحو خمس سكان الإقليم - مصر - بحيث أختزل هذا الإقليم بسرعة متزايدة الي مدينة عاصمة كبرى - أو كوبرا !!- [3] تحيط بها الأقاليم الأخرى كضاحية شاسعة لها، ومثل هذه فلسفة إقليمية ضيقة الأفق، أقرب إلي «اللاإقليمية Irregionalism » منها إلي الإقليمية التى تؤدي إلي وأد الأقاليم وذبولها، جاعلة منها أعضاءً من الدرجتين الثانية والثالثة في جسم الدولة، ومحولة المعادلة الإقليمية في مصر الي رأس كاسح وجسم كسيح [4].

ولقد كان «حمدان» يرى في التنظيم الجديد للحكم المحلي (عام ١٩٦٠) [5] نقطة

---

(١)جمال حمدان - تخطيطنا الإداريّ في ضوء نظام الحكم المحلي - مرآة العلوم الاجتماعية - السنة الثالثة - القاهرة - يونيو ١٩٦١ .

(٢)جمال حمدان - القاهرة - مكتبة الأسرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٦ - ص ٢٠ .

(٣)أحمد محمد عبد العال - المدن الكبرى في مصر - بين النمو والهيمنة الحضرية - ندوة قسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة القاهرة - ٢٠٠٣ - ص٢ .

(٤)جمال حمدان - تخطيطنا الإداريّ - ص ٢١ .

(٥)صدر هذا القانون في عام ١٩٦٠، وكان يحمل رقم ١٢٤، ولقد قسمت مصر بمقتضاه إداريا إلى: محافظات (كان عددها وقت صدوره ٢٥ محافظة) ومدن (١٤٠ مدينة) وقرى (نحو ٤٠٠٠ قرية)، وكان تقسيم مصر إلى محافظات هو ذاته التقسيم الذي كان سائداً قبل صدور القرار، بعد استبدال كلمة مديرية أو منطقة بكلمة محافظة اتساقاً مع التقسيمات الإدارية التي كانت سائدة في سوريا وقت أن كانت متحدة مع مصر فيما كان يعرف بالجمهورية العربية المتحدة (فبراير ١٩٥٨- سبتمبر ١٩٦١) - أحمد محمد =

تحول جذريّ في الفلسفة الإقليمية للدولة، سوف ترسم بوضوح الخطوط العريضة «لجغرافية إدارية» جديدة، وتعيد تشكيل ما يمكن تسميته «بالجغرافيا السياسية الداخلية» للإقليم، بعد أن أصبحت الدولة تنظر الي أقاليمها الإدارية نظرة أفقية لا رأسية، تعطي لكل أقاليمها قيما بشرية متكافئة، لتعيد توزيع الأثقال الحضارية والأوزان البشرية بين أجزاء الدولة من أجل تحقيق العدالة الإقليمية [1].

كما كان يرى أن الحكم المحلي هو الشكل القانوني لمبدأ الإقليمية « regionalism» أو الريجيونالزم [2] الذي هو مبدأ جغرافي في فلسفة المكان السياسية، والذي تنعكس نتائجه العمرانية والبشرية في إيجاد نويّات جديدة للحضارة والثقافة والمرافق والخدمات والعمران والنشاط، هي عواصم المحافظات الجديدة، التى تنفث الحياة الاقتصادية والتوجيه الفكري في أقاليمها، فتأسر جزءا من النمو والتضخم الذي تحتكره المدن المليونية، وتعيد صبه في أعصاب الأقاليم وشرايينه، فتحل مشاكل التنمية الإقليمية والتطوير الإقليمي، الحكم المحليّ يعني ـ في نظر حمدان ـ جغرافية جديدة لتوزيع ميزانية الدولة توزيعا إقليميا هو أدني الي العدالة المكانية والديموقراطية الإقليمية [3].



= عبد العال ـ تاريخ التخطيط الإقليمي بمصر وتقسيم الدولة إلي أقاليم ـ المجتمع المصري ـ ج١ ـ الفيوم ـ ٢٠٠٩ ـ ص ١٥ .

(١) جمال حمدان ـ تخطيطنا الإداريّ ـ مرجع سبق ذكره ـ المكان نفسه .

(٢) مرجع سبق ذكره ـ ص ٢١٦ .

(٣) جمال حمدان ـ تخطيطنا الإداريّ – مرجع سبق ذكره – ص ٢٢ .

المبحث السابع

النظائر الجغرافية والأقاليم الطبيعية



«إن أقاليمي التى قدمتها في النظائر الجغرافية بين أوربا وآسيا ليست أقاليم جوفاء ولا صماء، إنها أقاليم هيكلية لا تركيبية، بمعنى أنها أقاليم تناظرية، شكلية أكثر منها موضوعية، هندسية أكثر منها جغرافية، ولكن لأنها أقاليم هندسية فإنها أكثر الأقاليم الجغرافية جغرافية، تنصب علي الهيكل أكثر مما تنصب علي محتواه ومضمونه [1].

هكذا كتب حمدان عن «نظائره الجغرافية» التى تضمنها كتابه المعنون بـ «بين أوربا وآسيا دراسة في النظائر الجغرافية وهو كتاب «يقع بطبيعته في الجغرافيا الإقليمية المقارنة» [2]..الجغرافيا الإقليمية لقارتي أوربا وآسيا، أو لقارة أوراسيا بقسميها الأوربي والآسيوي، وهي الكتلة الأرضية التى تكتظ بالأشباه الإقليمية، وهي أشباه لا تقع من القارتين في مواقع عشوائية، ولكن في مواقع متقابلة متوازية يناظر الواحد منها الآخر شرق الكتلة الأوراسية أو غربها.

والناظر الي خريطة أوراسيا يجد الجزر البريطانية تناظر جزر اليابان علي ضلوع أوراسيا غرباً وشرقاً، وكذلك فرنسا والصين، وشبه جزيرة البلقان وشبه جزيرة الملايو، وشبه جزيرة إيطاليا وشبه جزيرة الهند، وشبه جزيرة أيبيريا وشبه الجزيرة العربية، وفي داخل أوراسيا تناظر هضبة إيران هضبة الأناضول، وسهول حوض طوران سهول حوض المجر، وسهل سيبيريا الغربية السهل الروسي العظيم، وقد أثبت حمدان بدراسته الواقعية المفصلة لتلك النظائر أنها تتشابه وتتناظر ولا تتناقض وتتنافر، وأن فيها من التقارب قدر ما فيها من التباين [3].

وقد خصص «حمدان» الفصل الأول من كتابه لفكرة النظائر الجغرافية، مؤكداً أنه لا

(١)عبد الحميد صالح حمدان ـ د. جمال حمدان..صفحات من أوراقه الخاصة ـ دار الغد العربي ـ القاهرة ـ ١٩٩٦ ـ ص ٧٩ .

(٢)جمال حمدان ـ بين أوربا وآسيا دراسة في النظائر الجغرافية ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ .

(٣)المرجع السابق ـ ص ٩.

توجد نقطتان أو منطقتان متماثلتان في خصائصهما الطبيعية والبشرية، لأنه بفرض وجودهما فإنهما ستكونان مختلفتين في الموقع الفلكي أو الجغرافي علي الأقل، كما يعيد التأكيد بأن سطح الأرض في ملامحه وسماته لا يشكل نمطاً فسيفسائياً عشوائياً الي ما لا نهاية، لأن «اللاندسكيب» الطبيعي له خطة أو منطق، وهذا السطح له ضوابط أساسية محددة تحكم باجتماعها أو بتعارضها توزيع الظاهرات الطبيعية علي صفحته، فتخضع الفروق بين أجزائه الى هيكل عريض من التناسق، وتختزلها الي عدد معقول من التوليفات المتجانسة، التى «تتنضد» وتتوزع بالنسبة الي لبعضها البعض في نمط مفهوم بقدر أو بآخر كرقعة الشطرنج، ومثل هذه القوالب من التجميعات أو التوليفات هي ما يعرف بالأقاليم [١] .

ومن ثم كان حمدان ينظر الي الجغرافيا ليس باعتبارها علم «التباين الأرضي» فحسب ولكنها أيضا علم «التشابه الأرضي» فالتباين لا يبرز إلا حين ينتهي التشابه، مثلما يعرف التشابه حين يصطدم بالتباين، وعنصر النسبية بارز وحيوي في فكرة التشابه أو التباين، مثلما هو كائن في فكرة الإقليم ذاتها.

والأقاليم ـ كوحدات مكانية متجانسة ـ تمثل فكرة متعددة المستويات، تكاد تتداعي كالمتصل المتدرج، فكلما قل عدد الملامح والخصائص المتخذة في تصنيفها اتسعت مساحاتها وقلت أعدادها وزادت فرص تكرارها، والعكس صحيح إذا تعددت أسس التقسيم وتعقدت، وهناك طبقات من الأقاليم بقدر ما هناك من أسسٍ للتقسيم: أحادية بسيطة كالإقليم التضاريسي أو المناخي أو النباتي، ومركّبة كالإقليم الطبيعي (يضم الأقاليم الثلاثة في إطار واحد)، ومعقّدة إذا أضيفت أسس الوجود البشري إلي أسس الإقليم الطبيعي [٢] .

---

(١)المرجع السابق ـ ص ١١ .

(٢)المرجع السابق ـ ص ١٢ ، وأحمد عبد العال ـ دراسات في الفكر الجغرافي ـ دار فكرة ـ القاهرة ـ ٢٠٠٩ ـ ص٢٥ .

ولم تكن جغرافية الإسلام عند حمدان دراسة للجغرافية الإقليمية للعالم الإسلامي أو مجرد دراسة إقليم خاص، فلقد كانت النظرية «الجديدة» التى قدمها في كتابه عن العالم الإسلامي المعاصر هي نظرية الإقليم العقدي، أو المناطق الحلقية التي لها نواة وأطراف بينهما انحدارات، وهي النظرية التي تختزل - في رأيه - هيكل العالم الإسلامي وتركيبه الداخلي في معادلة إقليمية مركزة، أو خطة مكثفة كالبذرة، أو مضغوطة كالكبسولة [1].

وبعيدا عن فكرتي: الإقليم الطبيعي كما وضعها «هربرتسون» والإقليم البشري كما طوّرها «فلير» توجد في عالم اليوم - كما رأى حمدان - حالات تجريبية خاصة من التشابه، تقتصر علي مناطق معينة من سطح الأرض دون أن تشكل نظاماً كونياً شاملاً، كما تقتصر علي عناصر معينة وملامح محددة دون أن تشمل كل جوانب الإقليم، ومن ثم فهي انتخابية أكثر منها شمولية، وجزئية في انتشارها وتوزيعها أكثر منها في مضمونها، ودائما ما تقصر دون محتوي كل من الإقليم الطبيعيّ أو البشريّ، لكنها تجتزئ من كلٍ منهما، وتعتمد علي فكرة التقابل في الموقع أو التناظر في الترتيب.

وعند مقارنة النظائر الجغرافية بالأقاليم الطبيعية «الهربرتسونية» وجد حمدان عدة ملاحظات هي:

* أن الأقاليم الطبيعية وحدات إقليمية متماثلة أسس تصنيفها هي: الموقع والمناخ والنبات، وقد تأتي التضاريس كبعد رابع، ولذلك كثيراً ما اعتبرت أقاليماً مناخية (حرارية أساساً) ومن ثم فهي أقل بكثير من فكرة الإقليم الجغرافي الكامل، رغم أنها تعد أساساً لازماً فيه، أما النظائر الجغرافية فتبحث عن وحدات إقليمية لا يمكن أن تكون متماثلة، ولكنها علي الأقل متشابهة فيما يمكن أن يتشابه من الظاهرات الطبيعية والبشرية علي حد سواء، ومن ثم فإن أسس النظائر الجغرافية أوسع وأشمل بكثير من

(١) جمال حمدان - بين أوربا وآسيا دراسة في النظائر الجغرافية - مرجع سبق ذكره - ص ١٦ .

أسس الإقليم الطبيعي، ولكنها في الوقت ذاته أضيق قليلاً أو كثيراً من أسس الإقليم الجغرافي الكامل، ولهذا فهي ليست أقاليم كاملة شاملة، بل جزئية تقوم علي التشابه الجزئي لا علي التماثل التام[١].

* أن الإقليم الطبيعي يقوم علي أسس ثابتة لا تتغير ولا تزيد هي العناصر الطبيعية (موقع/ مناخ/ نبات/ تضاريس) التى تتداعي تلقائياً وتترابط منطقيا في نظام نظري منطقي عام، أما النظائر الجغرافية فنظام تجريبيّ (إمبريقيّ) يوجد فقط حيث هو كواقع عملي مقصور علي حالات خاصة، تتألف أسس تصنيفه من حزمة من العوامل الطبيعية والبشرية المترابطة فيما بينها قليلاً أو كثيرا، وهذه الأسس ليست ثابتة بالضرورة من منطقة إلي أخرى، بل متغيرة بحسب طبيعة وظروف كل حالة أو منطقة، ومن ثم تحمل النظائر الجغرافية في ثناياها فروقاً واختلافات الي جانب التشابه والتناظر، وتعد من الدرجة الثانية تجانساً وأهميةَ، حيث الأقاليم الطبيعية من الدرجة الأولى[٢].

* أن الأقاليم الطبيعية نظام عالميّ كوكبيّ شامل يمكن أن يتكرر في كل القارات، وهي أقاليم عامة مثلما هي متكاملة، تنقسم الي أنواع كل نوع منها يمثل عائلة من أصل واحد موزعة علي القارات، أما النظائر الجغرافية فليست نظاماً كوكبياً عاماً، بل هي أقاليم خاصة مثلما هي أقاليم ناقصة غير تامة، رغم إمكانية تتبعها في كثير من أجزاء العالم، إلا أنها لا تغطي وجه الأرض كلها، بل تترك مناطق بينها خارج التصنيف، وهي لا تتألف من أنواع بقدر ما تتألف من أزواج، كل زوج منها موزع في كتلة قارة واحدة، واحد في شرقها والثاني في غربها (اليابان والجزر البريطانية علي جانبيّ أوراسيا) أو بين قارتين واحدة في نصف الكرة الشمالي والثانية في نصفها الجنوبي (شمال شرق الولايات المتحدة وشرق الأرجنتين) النظائر الجغرافية ليست أقاليم نوعية، ولكنها أيضاً ليست

(١) جمال حمدان ـ العالم الإسلامي المعاصر ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧١ ـ ص٨ .

(٢) جمال حمدان ـ بين أوربا وآسيا دراسة في النظائر الجغرافية ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ١٧ .

أقاليم خاصة تماما [١].

* أن الإقليم الطبيعي يمثل وحدة مكانية متجانسة تترامي وتتوزع في أكثر من بلد واحد دائماً، وتقتطع منها أجزاء دون أجزاء غالباً، أما النظائر الجغرافية فهي بلاد كاملة أو مجموعة بلاد تؤلف وحدات مكانية موحدة أو كتلاً إقليمية واحدة، ولكنها ليست متجانسة بل تقع في، أو تجمع بين أكثر من إقليم طبيعيّ واحد [٢].

* إن هناك حقائق جغرافية مثيرة للدهشة ولكنها تفسر الموقف تتمثل في أن غرب أوربا وشرق آسيا أقاليم طبيعية متناقضة تناقض شرق وغرب القارات، ولكنها هي نفسها النظائر الجغرافية شرق قارة أوراسيا وغربها، وهنا لا يوجد تعارض في الحقيقة بين الأقاليم الطبيعية والنظائر الجغرافية، فالأولي تستمد تجانسها من وحدة النسيج، أي من وحدة الموضع وتركيبه، أما الثانية فتستمد تناظرها من وحدة النمط والقالب والشكل أو الترتيب أو العلاقة (الموقع) الأولي أقاليم تركيبية مطلقة، والثانية أقاليم هندسية نسبية [٣].

وفي دراسته عن الجمهورية العربية الليبية [٤] عرف حمدان الجغرافيا السياسية كما حددها «هارتشورن» بأنها تحليل القوة، وقال بانتقال اهتمامها من «الحدود السياسية في الخارج والأقليات في الداخل» إلى النظرة التكاملية، وعلي أساس تعريف «فالكنبرج» فإن الجغرافيا السياسة «أقرب شيء إلي الجغرافيا الإقليمية» فالجغرافيا السياسية تتناول كل عنصر أو عامل جغرافي تعرض له الجغرافيا الإقليمية عادة لترى ما عسى قد يكون

(١)المرجع السابق - ص ١٨.

(٢)المرجع السابق - ص ١٩.

(٣)المرجع السابق - ص ١٨.

(٤)المرجع السابق - المكان نفسه.

له من تأثير علي الوزن السياسي للدولة [١].

والجغرافيا الإقليمية تنشد «التباين الأرضي» بينما السياسية تسعى الي تحليل القوة، الإقليمية تركيبية والسياسية وظيفية تحليلية، الإقليمية سردية شاملة والسياسية انتخابية تحديدية، الإقليمية «تقويم للبلدان» بمعنى علمي عصري حديث، بينما السياسية «تقييم للبلدان»[٢].



(١) جمال حمدان ـ الجمهورية العربية الليبية دراسة في الجغرافيا السياسية ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ص ٨.

(٢) السابق ـ المكان نفسه.

المبحث الثامن

الإبداع الجغرافي الحمداني

«لم يكن يختار السهل إذا خيّر..تؤهله قدراته للصعب..مشحوذة بالتحدي، لا يلتفت للقشور..يعنيه اللب، يرتقي الأعلي ـ وينفذ للجوهر، يستهويه «الإقليم» لأنه الأعقد..لا يعرضه بالوصف..فذلك الأسهل..وإنما ينقب عن شفرته وسرّه ، يراه مُركّباً في بنية كلّية متدامجة، تداخلت شرائحها الطبيعية والبشرية..منطوية علي ارتباطاتها المتراكمة، ويراه عضوياً حيّاً..له روحه الغضّة، متفاعلاً داخل ذاته..نامياً بذاته وبالتواصل مع غيره، مثمراً ثقافته، وهذه بالضبط عبقرية الإقليم في نظره» [(١)].

ويضيف أ.د عمر الفاروق: «إن تمرس «حمدان» الطويل بالمنهج الإقليمي باعتباره دربة جغرافية أساسية..وباعتبار موضوعه..قد جعلت من عناصره أوتاداً يشق بها طريقه، بل إنه لا يمانع في أن ينسب عمله جميعاً الي الجغرافيا الإقليمية الخاصة، التى ترادف «الكورولوجيا» أو التباين الأرضي، التى هي بالضرورة مصب ومجمع ونهاية وقمة الجغرافيا بمعناها الأكاديميّ [(٢)]» ذلكم باختصار هو فكر حمدان الجغرافي...الإقليم والإقليمية، تستطيع أن تتلمسها في معظم ما كتب، غير أنك ستجدها مضيئة بارزة في موسوعته: شخصية مصر.

كيف توصل حمدان الي تحديد الملامح الأساسية لشخصية مصر؟ وكيف تمكّن من ارتياد منطقة من العلم غير مطروقة لشدة وعورتها، يمكن القول بأن حمدان قد حقق دربته الأساسية من كتاباته التى سبقت موسوعة شخصية مصر، كما أنه لم يشرع في كتابة هذه الموسوعة قبل قراءة واسعة يصعب الإحاطة بأبعادها، ورغم فطرته التجديدية المتوثبة إلا أنه آثر الالتزام بالمنهج الجغرافي التقليديّ في عمومياته، مؤجلا تحليقه لما بعد فكتب شخصية مصر في إطار التقسيم المستقر لعلم الجغرافيا إلى فروعه الرئيسة:

---

(١) عمر الفاروق ـ جمال حمدان فيلسوف المكان ـ مجلة القاهرة ـ العدد (١٢٦) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ مايو ١٩٩٣ ـ ص ١٤ .

(٢)السابق ـ ص ٩.

الطبيعية والبشرية، مستخدما كافة الأساليب المعتادة، ومتبعاً في عرضها ذات الطرق المعروفة، متوصلاً الى تحقيق الألفة المنهجية بداية، بما يضمن له توصيل إضافاته المنهجية بعد ذلك بيسر [١].

وهذه الإضافات المنهجية ساقها حمدان في سياقاتها بحذر أولا..ثم شاعت فأشاعت الجدة والأصالة في نسيجه المنهجيّ، فهو عندما يبدأ بالصورة العامة في إيجاز وإحكام..إنما يمهد لما بعدها حين يصيغ مقولته عنها في شكل المعادلة، وهي إن كانت معادلات لفظيّة أكثر منها كميّة..إلا أنها تمثل أسلوبه المتفرد، الذي يحفر مقولته حفراً في الذهن، فتصبح وكأنها «حكمة مكانية» أو «مثلاً حمدانياً سائراً، فلغته ثرية بمستوياتها وإيقاعاتها..تعود لموهبته المتفردة، بما يجعل منها علامة أسلوبية تدل عليه وإن لم يوقع تحتها بإسمه [٢].

وفيما يلي نماذج لمقولات «حمدان» عن مصر، التي كتب عنها أنها:-

- في أفريقيا وليست منها ومن أوربا وليست فيها.
- آسيوية التوجيه والتاريخ والتأثير والمصير.
- بآسيا وإليها.
- نصف أوربية، ثلث آسيوية، سدس أفريقية، تبدأ أوربيتها عند الاسكندرية، وآسيويتها عند القاهرة، وأفريقيتها عند أسوان.
- حجر الزاوية والأرض الركن في الثلاثية القارية (العالم القديم).
- أفريقية بأرضها ومائها.قوقازية أوربية بجنسها ودمائها.
- فرعونية بالجد عربية بالأب.

(١)السابق - المكان نفسه.

(٢)السابق - ص ٢٠.

- محكوم عليها بالعروبة والزعامة.

- مرآة العالم العربي لا ظلّه، رأسه وقلبه وضابط إيقاعه.

- أكثر من عضو ضخم في الجسم العربي.إنها رأسه المؤثّر وجهازه العصبيّ المركزيّ الفعال.

- مركز الثقل الطاغى وقطب القوة في العالم العربى.

- في العالم العربي كالقاهرة في مصر.

- ينتشر ظلها وشبه ظلها وصداها في الوطن العربي دون انتشار المصريين خارجها.

- تزداد عروبة مع التاريخ، وعروبتها تزداد عمقاً مع الزمن.

- عاصمة العرب حربياً واستراتيجياً.إذا سقطت سقط.

- عصارة النيل وخلاصة أفريقيا وركاز المداريات.

- هي والنيل خلقا الحضارة، وهي والمتوسط نشراها.

- هي النيل، مثال النهر الكامل، أكثر الفيضيات فيضية.

- هبة الفيضان والريّ والنيل والفلاّح والمصريين.

- عالم الريّ الصناعيّ التام و تجسيم لبيئة الريّ المطلقة.

- إبنة الريّ جغرافياً وإن كانت أمّه تاريخياً.

- المجتمع الهيدرولوجيّ البحت.

- في الصحراء وليست منها.الماء بلا مطر.

- زراعة بلا رعيّ.أرض المزروعات لا النباتات الطبيعية.بلد الرعيّ المزروع.

- بلد الخبز بلا لحوم.والبقول بلا ألبان.

- خدش بسيط علي صفحة الصحراء.

- كثافة بلا مساحة. ومسافة لا مساحة.

- محدودة الرقعة وإن كانت مفرطة الامتداد.

- بجسمها النهري قوة بر. ولكن بسواحلها قوة بحر.

- هي موضعاً دولة نهر وموقعاً دولة برزخ مثالية.

- دولة طريق من الطراز الأول.

- كانت كبيرة والعالم صغير وأصبحت صغيرة والعالم كبير.

- صاحبة أطول سجل معروف في الحرب والقتال.

- كانت دائما شعباً محارباً بقدر ما كانت شعباً بناءاً صناعته الحضارة.

- كانت دائما شعباً محارباً. مدافع أساساً لا محارب معتد.

- اعتبرها نابليون أهم موقع استراتيجي في العالم كله ومن يسيطر عليها يسيطر علي العالم [١].

وهذه نماذج أخرى لكتابات «حمدانية عن مصر يمكن اعتبارها أمثلة سائرة [٢]، فمصر عنده :

- إمّا القوة أو الانقراض، إمّا القوة وإمّا الموت.

- الغريب أن كل شئ في مصر القديمة يبدأ أولا، لكنه لايلبث أن يتقوقع ويستنقع ويصبح محلياً لا عالميا.

---

(١) السابق - ص ١٥.

(٢) محمد عبد الرحمن الشرنوبيّ - جمال حمدان (عاشق تراب مصر) - المجلس القوميّ للشباب - القاهرة - ٢٠١٠ - ص ص ١١-١٣ .

- أن تكون مصريا فهذا يعني شيئين: الأرض والشعب.الوطن والقومية.

- أرض مصر معرضة للتآكل الجغرافي لأول مرة في التاريخ كله.

- أرض مصر أصبحت أرضاً «مغلقة بيولوجيا».بلا صرف.بل مصرف.

- لأول مرة يظهر لمصر منافسون ومطالبون ومدّعون هيدرولوجياً.

- كانت مصر سيدة النيل، بل مالكة النيل الوحيدة ـ الآن فقط انتهى هذا إلى الأبد، وأصبحت شريكة محسودة ومحاسبة، ورصيدها المائي محدود وثابت وغير قابل للزيادة، إن لم يكن للنقص.

- ولّت أيام الغرق وبدأت أيام الشَرَقْ وعرفت مصر الجفاف لا كخطر راجع ولكن دائم. «الجفاف المستديم» بعد «الريّ المستديم».

- بلغ سكان مصر الذروة غير المتصورة قط، بينما القاعدة الأرضية والمائية انكماش أو ثبات أو انقراض.

- عامل السكان الذي تعدى إمكانيات الأرض، أصبح بالوعة للأرض وآكلاً لها.

- سيأتي اليومُ الذي تُطرد فيه الزراعة تماماً من أرض مصر، لتصبح كلها مكان سكن، دون مكان عمل، أي دون عمل، أي دون زراعة، أي دون حياة، أي موت! لتتحول في النهاية من مكان سكن على مستوى الوطن إلى مقبرة بحجم دولة.

- مصر تختلف عن كل بلاد العالم من حيث مشكلة تلوث البيئة: فهي أول بيئة زراعية في التاريخ غالباً وهي الآن أول بيئة مرشحة للانقراض والاختفاء في التاريخ أيضاً.

- جسم مصر يتعرض لأكبر عملية تلويث كيماوياً + تآكل ميكانيكياً، بحيث قد يأتي اليومُ الذي تصبح فيه بيئة غير صالحة بتاتاً لاستمرار حياة الإنسان وعندئذ ينقرض

السكان والإنسان بعد انقراض الأرض والبيئة.

- إن تكن أرض الجزيرة هى (جزيرة العرب) فيزيوغرافياً وإثنولوجياً، فإن مصر هى (جزيرة العرب) سياسياً وقومياً.

- دور مصر القيادى والريادى فى العالم العربى لم ينقطع أبدا حتى فى الفترات التى آلت فيها الزعامة الشكلية إلى غيرها.

- المشروع القوميّ ليس إلا بناء مصر القوية الكريمة، أي: العمل/ الإنتاج الماديّ والسلعيّ مع إعادة توزيع العائد بعدالة. المشروع القوميّ تسمية جديدة فقط للدولة العصرية.

- مصر القوية هي مصر القوية العزيزة الكريمة الجميلة في الخارج والداخل.القوة في الخارج والجمال في الداخل.القوة:التحرر الوطني والسيادة الوطنية والعزة القومية ونفي التبعية والاستعمار والصهيونية وإسرائيل. والجمال:عزة الإنسان المصري في دولته القوية:العدالة، المساواء، إعادة توزيع الملكية والدخل.

- هكذا مصر:تأخذ وتعطى.تؤصل وتوصل.

- الجغرافيا قديمة جدا من أقدم العلوم، لكنها كلما تغير كانت الشيء نفسه.. تماماً كمصر[١].

والمرجّح أن حمدان قد وضع المنظومة لكتابه: شخصية مصر بعد تأمل طويل وعميق، ثم عكف بعد ذلك علي البرهنة عليها وإثباتها تفصيلاً، محاذراً في موضوعية صارمة أن يتعسّف قط فيما يعرضه من أدلته أو يغفل ما يتعارض معها عامداً إلي تفنيدها، باعتبار أن ذلك مما يؤكد مقولاته ولا يضعفها، ويثبت ذلك مئات المراجع التى

(١)عبد الحميد صالح حمدان ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ص ٣١-٣٧ .

اطّلع عليها، وما أورده من تحليلات عند مناقشة آراء الآخرين [١].

وقد مكنته قدراته العقلية من السيطرة علي موضوع كتابته وبالدرجة نفسها علي ضده، ملتقية مع طموحه العلمي نحو بناء النظرية، ومطوّعة مهاراته الفائقة الأخرى (اللغوية بصفة خاصة) لتحقيق أهدافه المتعددة علي وجه الدقة....لقد احتشدت قواه جميعها تحت إمرة عقله، يتجلي ذلك تماما في كل سطر كتبه: الرؤية الفلسفية، قدرات التجريد، التعميم والتخيّل والتوقّع، مهارات التصوير والإحساس الإيقاعيّ المرهف، ودانت له اللغة في تركيباتها المركبة والسلسة، والتى وظّفها ببصيرته النافذة لتجسيد مشروعه الفكري، بمستويات نفعيّته المتعددة لوطنه وعلمه، وبما يلبي طموحه المتّقد [٢].

وقد استهل حمدان عمله الموسوعيّ (شخصية مصر) منهجيا وموضوعيا بالأرض - أرض مصر - منهجياً لأنها بداية الخيط، وموضوعياً لأنها هيكل الشخصية وعظامها الفقرية، التي كساها بعد ذلك باللحم (الجغرافيا البشرية) وبالشحم (الجغرافيا الاقتصادية) بما حقق رؤيته الأساسية لهذه الشخصية ككائن حيّ، ممهداً بصورتها العامة التي حوّل عناصرها البارزة الي صورٍ ذهنية، ثم خلّصها بعد ذلك من سكونها وجمودها بكشف «دينامياتها» علي مستويين: الأول هو العملية التى أدت إليها، والثاني هو علاقتها بغيرها باعتبارها جزءاً من كلٍ [٣].

لقد استطاع جمال حمدان أن يحول الجغرافيا الي عشق والمكان الي موسيقى والموقع الي معزوفة تقطر عشقاً ووجداً، فقبل «حمدان» كانت الجغرافيا علماً جافاً، لكنها تجلت علي يدي عاشقها واستطاعت أن تعطر نفسها بالتاريخ، وأن تتزين بالفلسفة،

(١)السابق - ص ٤١ .

(٢)عمر الفاروق - مرجع سبق ذكره - ص ١٩ .

(٣)السابق - المكان نفسه.

وتتحلى بالسياسة، وتتألق بعلم الاجتماع، فتصبح جميلة وشيّقة، وقبل حمدان كانت مصر مجرد وطن نحبه، لكنها علي يديه اكتسبت عمقاً فلسفيا، وبعدا يغوص في أعماقه الباحثون [١] .

ويمثل حمدان نموذجاً متفرداً للمفكر، فقد نجح في أن يصنع ما يسمي بـ«الطريقة الحمدانية»، فالأسلوب عندما يقرؤه أي قارئ يعرف أنه لجمال حمدان، وكذلك الحال بالنسبة للمصادر التى يرجع إليها، وابتكار في الأفكار، فقد خلق منظومة متكاملة من مجموعة طرق الأداء المتناثرة ومن ثم فإننا يمكن أن نعتبره نسيجا فريداً [٢] فلا شك أن حمدان يمثل ظاهرة فريدة، أهم ما يميزها أنها غير قابلة للتكرار، وما فعله في كل الميادين لن يستطيع أن يفعله أحد غيره، وهذا الحكم ينطبق علي الانجازات الرائعة التى قدمها إلينا في ميدانه الأصلي ـ الجغرافيا ـ والذي جعله عنصراً أساسياً في الثقافة العامة في مصر، وهذه ثورة فريدة في نوعها، بعدما استطاع أن يربط الجغرافيا بالتاريخ والسياسة والاقتصاد، ويجعل منها المحور الذي تدور حوله كل هذه الميادين، من خلال عرض شعري وأدبي من الطراز الأول، وهذا الجانب الإيجابيّ سيذكره التاريخ لجمال حمدان، وسيقف عنده الباحثون والمحللون [٣] .

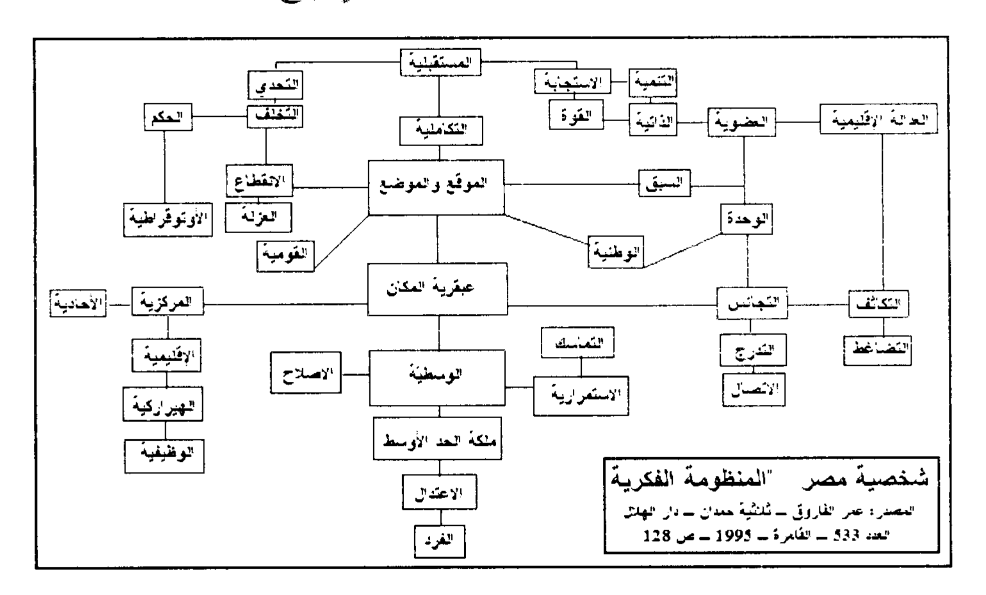
وقارئ حمدان ـ المستمتع بما يقرأ ـ لابد أن يشعر بحمدان مستمتعا وهو يكتب، متعة فنية بغض النظر عن أهمية القضية التى يكتب عنها، متعة مبعثها اندماجه فيما يعرض وحرصه علي النفاذ إلى روحه ولبّه، يقلّبه علي شتى الأوجه، ويتحسسه أولاً ثم يتعمق، يتلمّس سياقه ثم يستطعم..وينهض إلي مراجعه وثباً، كل تفصيلة تهمّه وكل ثنيّة يدّس أصابعه ويستخرجها، يعرّي ويكشف في جرأة، ولا يتورّع أمام الحقيقة أو يغمض،

(١)السابق ـ ص ٢٥ .

(٢)رفعت السعيد ـ سيدة الحلول الوسطى ـ مجلة القاهرة ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ١٠٢ .

(٣)يونان لبيب رزق ـ تحديد القسمات الوطنية ـ مجلة القاهرة ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٩٤ .

رصيده كلماته، ومنبع كلماته فكره، وسخونة صياغاته مبعثها عاطفته، يتّقد عقله ثم قلبه، وتسرى الحرارة في كيانه، ولا تتوقف، تعادل الكلمة موضوعه، لا تحيد عنه، فيصدُق ويُصَّدق، في كل وقتٍ يفكّر، تصخب الفكرة في رأسه وتصيبه بدوارٍ مسكرٍ، فيتأملها ويستغرق فيها، حتى يصبح هو الفكرة، يدقّ عليها بأزميله فتتفتت، ويتشربها فتتحلل داخله، وتختلط بغيرها..وتنطوي حين يكتبها علي جِماع نفسه [١] .



شكل رقم (٢)

(١)فؤاد زكريّا. تراجيديا جمال حمدان. مجلة القاهرة. مرجع سبق ذكره. ص ٩٥ .

ويوضح الجدول التالي إبداع حمدان الجغرافيّ على مدى نحو ٤٠ سنة (١٩٥٣-١٩٩٣) مابين كتب ودراسات وبحوث ومقالات [١]:

جدول رقم (١) أعمال جمال حمدان

الفترة	كتب	مقالات	مجموع	الفترة	كتب	مقالات	مجموع
الخمسينيات	٤	٦	١٠	السبعينيات	٩	٧	١٦
الستينيات	١٠	٦٥	٧٥	الثمانينيات	٦	١	٧
الجملة					٢٩	٧٩	١٠٨

كما تطورت الإصدارات الفكرية الحمدانية كما يعرضها الجدول التالي:

جدول رقم (٢) تطور الإصدارات الفكرية عند جمال حمدان

م	الفترة الزمنية	النمط	العدد
١	١٩٥٣-١٩٦٠	جغرافية السكان	٣
٢	١٩٦٠-١٩٦٢	الجغرافيا التاريخية	٢
٣	١٩٥٧-١٩٦٨	جغرافية المدن	٨
٤	١٩٦١-١٩٦٥	الجغرافيا السياسية	٧
٥	١٩٦٧-١٩٨٤	الشخصية القومية	٦
٦	١٩٥٨-١٩٧٣	الفكر الإقليمي	٣
٧	١٩٦٤-١٩٨٤	الجغرافيا الاقتصادية	٢

(١) عمر الفاروق ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٢٨ .

م	الفترة الزمنية	النمط	العدد
٨	١٩٧٦-١٩٧٨	التخطيط	٢
٩	١٩٦٤	الفكر الجغرافي	١
الجملة		-	٣٤

غير أن أفضل طريقة لحصر أعمال حمدان هي تتبعها زمنيا وتحديد فرع الجغرافيا الذي تنتمي إليه، وذلك كما يوضح الملحق رقم ١ [(١)]، وقد توزعت كتابات حمدان الجغرافية باللغة الإنجليزية الثمانية ما بين رسالة جامعية (دكتوراه) ودراسات (٥ دراسات) وكتب (كتابان) وذلك في خمس فروع جغرافية هي: السكان والمدن والإقليمية والسياسية والتاريخية، أما كتبه باللغة العربية والبالغ عددها ١٧ كتابا فقد توزعت علي ٦ فروع جغرافية هي: السياسية (٨ كتب) والمدن (٣ كتب) والإقليمية (٣ كتب) وكتاب واحد في كل من : البيئة والاقتصادية والسكان. أما مقالاته البالغ عددها ٥٨ مقالا فقد كانت غالبيتها (٣٣ مقالا تمثل نحو ٥٧٪ منها) مقالات سياسية، تليها مقالات التخطيط الإقليمي (٨ مقالات) فالمقالات الإقليمية (٥ مقالات) فمقالات المدن (٣ مقالات) فمقالات اقتصادية وسكانية وفي الفكر الجغرافي (مقالتان لكل منهما) ومقال واحد في موضوع المعاجم الجغرافية ومثله في جغرافية السطح [(٢)].

(١)فتحي مصيلحيّ - جمال حمدان في المدرسة الجغرافية - مجلة القاهرة - مرجع سبق ذكره - ص ٧٤ .

(٢)عبد الحميد صالح حمدان - صاحب شخصية مصر وملامح من عبقرية الزمان - مكتبة مدبولي - القاهرة - ١٩٩٣ - ص١٣٥، و: محمد عبد الغني علام - جمال حمدان عبقرية ضد الانحناء - دار الغد العربي - القاهرة - ١٩٩٧ - ص ١٨٨.

ملحق رقم (١) كتابات جمال حمدان مرتبة زمنيا وموضوعيا (بلغات غير عربية)

م	العنوان	النمط	دار النشر	مكان النشر	سنة النشر	الفرع الجغرافي
١	Population of Mid Nile Delta past and present	دكتوراه	جامعة ردنج	إنجلترا	١٩٥٣ June	السكان
٢	Khartoum: study of a city, Geog. Review	دراسة	-	-	١٩٥٦	المدن
٣	Studies in Egyptian Urbanism	كتاب	-	Cairo	1960	المدن
٤	Evolution of irrigation agriculture in Egypt, in: A History of land use in arid regions, Stamp,L. ed.,	دراسة	Unesco	Paris	1961	التاريخية
٥	Egypt, the land and the people,in;Guidebook to geology	دراسة	-	-	1961	الإقليمية
٦	Patterns of medival urbanism in Arab World	دراسة	Geog. Review		1962	المدن
٧	Political map of New Africa	دراسة	Geog. Review		1963	السياسية
٨	The four dimensions of Egypt	كتاب	مكتبة مدبولي	القاهرة	١٩٩٤	الإقليمية
٩	دراسات في العالم العربي	كتاب	النهضة المصرية	القاهرة	١٩٥٨	الإقليمية
١٠	أنماط من البيئات	كتاب	عالم الكتب	القاهرة	١٩٥٨	البيئة
١١	جغرافية المدن	كتاب	بدون	القاهرة	١٩٥٨	المدن
١٢	نمو وتوزيع السكان في مصر	كتاب	النهضة المصرية	القاهرة	١٩٥٩	سكان

م	العنوان	النمط	دار النشر	مكان النشر	سنة النشر	الفرع الجغرافي
١٣	بترول العرب	كتاب	دار المعرفة	القاهرة	١٩٦٤	الاقتصادية
١٤	المدينة العربية	كتاب	معهد الدراسات العربية العالية	القاهرة	١٩٦٤	المدن
١٥	أفريقيا الجديدة	كتاب	مكتبة النهضة المصرية	القاهرة	١٩٦٦	السياسية
١٦	شخصية مصر	كتاب	دار الهلال	القاهرة	١٩٦٧	الإقليمية
١٧	الاستعمار والتحرير في العالم العربي	كتاب		القاهرة	١٩٦٧	السياسية
١٨	اليهود أنثروبولوجيا	كتاب	دار الكاتب العربي	القاهرة	١٩٦٧	السياسية
١٩	استراتيجية الاستعمار والتحرير	كتاب		القاهرة	١٩٦٨	السياسية
٢٠	مقدمة كتاب القاهرة لديزموند ستيوارت وترجمة : يحي حقي	كتاب	دار الهلال	القاهرة	١٩٦٩	المدن
٢١	العالم الإسلامي المعاصر	كتاب	عالم الكتب	القاهرة	١٩٧١	السياسية
٢٢	بين أوربا وآسيا دراسة في النظائر الجغرافية	كتاب	عالم الكتب	القاهرة	١٩٧٢	الإقليمية
٢٣	الجمهورية العربية الليبية دراسة في الجغرافيا السياسية	كتاب	عالم الكتب	القاهرة	١٩٧٣	السياسية
٢٤	٦ أكتوبر في الاستراتيجية العالمية	كتاب	عالم الكتب	القاهرة	١٩٧٤	السياسية
٢٥	قناة السويس نبض مصر	كتاب	عالم الكتب	القاهرة	١٩٧٥	السياسية

م	العنوان	النمط	دار النشر	مكان النشر	سنة النشر	الفرع الجغرافي
٢٦	شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ج١	كتاب	عالم الكتب	القاهرة	١٩٨٠	الإقليمية
٢٧	شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ج٢	كتاب	عالم الكتب	القاهرة	سبتمبر ١٩٨١	الإقليمية
٢٨	شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ج٣	كتاب	عالم الكتب	القاهرة	يناير ١٩٨٤	الإقليمية
٢٩	شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ج٤	كتاب	عالم الكتب	القاهرة	١٩٨٤	الإقليمية
٣٠	اتحاد الجمهوريات العربية: الدولة والرسالة	كتاب	الأهرام	القاهرة	١٩٧١/٩/٢	السياسية
٣١	قضية إعادة بناء القرية	كتاب	الأهرام	القاهرة	١٩٧١/٨/١٥	تخطيط إقليمي
٣٢	لا تنقلوا عاصمة مصر	كتاب	الأهرام	القاهرة	١٩٧٦/٦/١٨	مدن
٣٣	محاور الاستقطاب في آسيا: هل تصبح آسيا الجديدة هي أوربا القرن الجديد	كتاب	الأهرام	القاهرة	١٩٧٣/٣/٢٤	السياسية
٣٤	معادلة القوة الجديدة في الاستراتيجية العالمية.. لعبة توازن القرن التاسع عشر في صورة أكبر	كتاب	الأهرام	القاهرة	١٩٧٣/٢/١٣	السياسية
٣٥	من مشاكل الحكم المحلي. عصر التفرقة بين مديرية ومحافظة لا يزال باقيا	كتاب	الأهرام	القاهرة	١٩٦٤/٨/٢٦	تخطيط إقليمي
٣٦	اقتراح محدد حول إعادة تخطيط أرض المعارض	كتاب	الأهرام	القاهرة	١٩٧٣/٧/١٤	مدن

م	العنوان	النمط	دار النشر	مكان النشر	سنة النشر	الفرع الجغرافي
٣٧	حول برنامج العمل الوطني والدعوة الي خريطة جديدة لمصر – خريطة مصر الجديدة وجغرافية سنة ٢٠٠٠	كتاب	الأهرام	القاهرة	١٩٧١/٨/١١	تخطيط إقليمي
٣٨	إعادة بناء القرية المصرية	كتاب	الطليعة	القاهرة	مايو ١٩٧٦	تخطيط إقليمي
٣٩	حول وحدة الرافدين والنيل (العدد ١٢)	كتاب	الفكر المعاصر	القاهرة	فبراير ١٩٦٦	السياسية
٤٠	خريطة القومية العربية (العدد ١٤)	كتاب	الفكر المعاصر	القاهرة	أبريل ١٩٦٦	السياسية
٤١	ليس اليهود من بنيّ إسرائيل (العدد ٢٤)	كتاب	الفكر المعاصر	القاهرة	فبراير ١٩٦٧	السياسية
٤٢	المعركة لم تنته بعد. بل بدأت (العدد ٣٠)	كتاب	الفكر المعاصر	القاهرة	أغسطس ١٩٦٧	السياسية
٤٣	منْ جغرافية الإسلام (العدد ٢٠)	كتاب	الفكر المعاصر	القاهرة	أكتوبر ١٩٦٦	السياسية
٤٤	نحن والدولة العصرية (العدد ٤١)	كتاب	الفكر المعاصر	القاهرة	يوليو ١٩٦٨	السياسية
٤٥	هيكل المجتمع الإسرائيلي (العدد ٦)	كتاب	الفكر المعاصر	القاهرة	أغسطس ١٩٦٥	السياسية
٤٦	الأردن دولة دراسة في الجغرافيا السياسية (١) و (٢)	كتاب	الكاتب	القاهرة	يناير وفبراير ١٩٦٧	السياسية
٤٧	أهداف ثابتة ووسائل متغيرة	كتاب	الكاتب	القاهرة	أغسطس ١٩٦٧	السياسية

م	العنوان	النمط	دار النشر	مكان النشر	سنة النشر	الفرع الجغرافي
٤٨	بين معركة الدعاية ومعركة الميدان	كتاب	الكاتب	القاهرة	يونيو ١٩٦٨	السياسية
٤٩	حول الدعوة الي نظرة جديدة الي القضية الفلسطينية	كتاب	الكاتب	القاهرة	إبريل ١٩٦٨	السياسية
٥٠	قضية فلسطين والعدو الإسرائيلي	كتاب	الكاتب	القاهرة	نوفمبر ١٩٦٦	السياسية
٥١	قضية فلسطين والموقف العربيّ	كتاب	الكاتب	القاهرة	أغسطس ١٩٦٦	السياسية
٥٢	قضية فلسطين ومحور الاستعمار والصهيونية	كتاب	الكاتب	القاهرة	أكتوبر ١٩٦٦	السياسية
٥٣	معركة العودة والاستراتيجية النووية	كتاب	الكاتب	القاهرة	مارس ١٩٦٦	السياسية
٥٤	نافذة علي البحر الأحمر ..القصير لا برنيس	كتاب	الكاتب	القاهرة	مايو ١٩٦٦	تخطيط إقليمي
٥٥	نظرة علي الموقف قبل المعركة	كتاب	الكاتب	القاهرة	يونيو ١٩٦٧	السياسية
٥٦	الوحدة العربية بين مقوماتها ومعوقاتها	كتاب	الكاتب	القاهرة	فبراير ١٩٦٦	السياسية
٥٧	العلمية الجديدة. نحو نظرية معرفة متطورة وعلم منهج جغرافي (العدد ٥٢)	كتاب	كلية الآداب جامعة القاهرة	القاهرة	١٩٩١	الفكر الجغرافي
٥٨	في العلاقة بين السكان والتضاريس (المجلد ١٩ الجزء الأول)	كتاب	كلية الآداب جامعة القاهرة	القاهرة	مايو ١٩٧٥	السكان
٥٩	الإسلام في أفريقيا دراسة سياسية (العدد ٨٢)	كتاب	المجلة	القاهرة	نوفمبر ١٩٦٣	السياسية

م	العنوان	النمط	دار النشر	مكان النشر	سنة النشر	الفرع الجغرافي
٦٠	بين أوربا وآسيا – نظائر ونقائض جغرافية (٤ مقالات في أعداد : ١٣٦/١٣٧/١٣٨/١٣٩	كتاب	المجلة	القاهرة	أبريل ١٩٨٦ يوليو ١٩٦٨	الإقليمية
٦١	جغرافية الثورة (العدد ٨٨)	كتاب	المجلة	القاهرة	أبريل ١٩٦٤	السياسية
٦٢	جوانب سياسية في بترول العرب (العدد ٩١)	كتاب	المجلة	القاهرة	يوليو ١٩٦٤	السياسية
٦٣	شخصية مصر – بين مياه النيل وطريق السويس (العدد ٩٦)	كتاب	المجلة	القاهرة	ديسمبر ١٩٦٤	الإقليمية
٦٤	شخصية مصر – تعدد الجوانب (العدد ٩٧)	كتاب	المجلة	القاهرة	يناير ١٩٦٥	الإقليمية
٦٥	شخصية مصر - مركزية رغم الامتداد (العدد ٩٥)	كتاب	المجلة	القاهرة	نوفمبر ١٩٦٤	الإقليمية
٦٦	من جغرافية الاستعمار الي عدم الانحياز (٧ مقالات أعداد : ١٠٥/١٠٦/١٠٧/١٠٨/١٠٩/١١٠/ ١٠٢/١١١	كتاب	المجلة	القاهرة	سبتمبر ١٩٦٥/ أبريل ١٩٦٦	السياسية
٦٧	أسماء الأماكن في العالم العربي (العدد الثاني)	كتاب	مرآة العلوم الاجتماعية	القاهرة	مارس ١٩٦٣	معاجم جغرافية
٦٨	أفريقيا من جغرافية الاستعمار الى التحرير (العدد الثاني)	كتاب	مرآة العلوم الاجتماعية	القاهرة	مارس ١٩٥٨	السياسية
٦٩	تخطيطنا الإداري بين موارد المياه والسكان في مصر	كتاب	مرآة العلوم الاجتماعية	القاهرة	مايو ١٩٥٩	تخطيط إقليمي

م	العنوان	النمط	دار النشر	مكان النشر	سنة النشر	الفرع الجغرافي
٧٠	دور التخطيط الإقليمي بين موارد المياه والعمران في مصر	كتاب	مرآة العلوم الاجتماعية	القاهرة	مايو ١٩٥٩	تخطيط إقليمي
٧١	تخطيطنا الإداري في ضوء نظام الحكم المحلي (العدد الثالث)	كتاب	مرآة العلوم الاجتماعية	القاهرة	يونيو ١٩٦١	تخطيط إقليمي
٧٢	ديموجرافية العواصم الأفريقية (العدد الأول)	كتاب	مرآة العلوم الاجتماعية	القاهرة	ديسمبر ١٩٦٢	السكان
٧٣	الزراعة في سوريا (العدد الأول)	كتاب	مرآة العلوم الاجتماعية	القاهرة	ديسمبر ١٩٦٥	الاقتصادية
٧٤	الصناعة السورية (العدد الثاني)	كتاب	مرآة العلوم الاجتماعية	القاهرة	مارس ١٩٦٦	الاقتصادية
٧٥	مورفولوجية الشام (العدد الثاني)	كتاب	مرآة العلوم الاجتماعية	القاهرة	مارس ١٩٦٤	ج. السطح
٧٦	الموقع الاستراتيجي للعالم العربي	كتاب	مرآة العلوم الاجتماعية	القاهرة	يونيو ١٩٥٨	السياسية
٧٧	نحو مدرسة عربية في الجغرافيا (العدد الأول)	كتاب	مرآة العلوم الاجتماعية	القاهرة	ديسمبر ١٩٦٤	فكر جغرافي
٧٨	هذه الجغرافيا (العدد الأول)	كتاب	مرآة العلوم الاجتماعية	القاهرة	ديسمبر ١٩٥٧	فكر جغرافي
٧٩	الخريطة السياسية لأفريقيا (العددان : ٦٩ - ٧٠)	كتاب	نهضة إفريقيا	القاهرة	أغسطس/ سبتمبر ١٩٦٣	السياسية
٨٠	الخريطة السياسية لأفريقيا الجديدة (العدد ٧٠)	كتاب	نهضة إفريقيا	القاهرة	سبتمبر ١٩٦٣	السياسية

م	العنوان	النمط	دار النشر	مكان النشر	سنة النشر	الفرع الجغرافي
٨١	العواصم الإفريقية (أعداد : ٧٣ – ٧٤ – ٧٥)	كتاب	نهضة إفريقيا	القاهرة	ديسمبر ١٩٦٣ فبراير ١٩٦٤	المدن
٨٢	إسرائيل الصهيونية وأرض فلسطين	كتاب	الهلال	القاهرة	مايو ١٩٦٨	السياسية
٨٣	أصول تاريخية وجغرافية في مصر. البيروقراطية والجغرافيا	كتاب	الهلال	القاهرة	فبراير ١٩٦٥	الإقليمية
٨٤	فلسطين والوحدة	كتاب	الهلال	القاهرة	١٩٦٤	السياسية
٨٥	ماذا تعد إسرائيل عسكرياً	كتاب	الهلال	القاهرة	نوفمبر ١٩٦٤	السياسية
٨٦	نحو حل عملي لمشكلة قبرص	كتاب	الهلال	القاهرة	أكتوبر ١٩٦٤	السياسية
٨٧	هل تملك إسرائيل سلاحاً ذرياً	كتاب	الهلال	القاهرة	مايو ١٩٦٨	السياسية







المصـادر

المصادر

١ - أحمد عبد العال ـ دراسات في الفكر الجغرافي ـ دار فكرة ـ القاهرة ـ ٢٠٠٩ .

٢- أحمد محمد عبد العال ـ تاريخ التخطيط الإقليمي بمصر وتقسيم الدولة إلي أقاليم ـ المجتمع المصري ـ ج١ ـ الفيوم ـ ٢٠٠٩ .

٣- أحمد محمد عبد العال ـ الأبعاد المكانية للخصائص الوظيفية للمدن المصرية ـ مكتبة النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٩٠ .

٤- أحمد محمد عبد العال ـ المدن الكبرى في مصر ـ بين النمو والهيمنة الحضرية ـ ندوة قسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة القاهرة

٥- أحمد محمد عبد العال ـ وظائف المدن المصرية: تصنيف وظيفي مقترح ـ دار النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٨٩ .

٦- ت.و. فريمان ـ الجغرافيا في مائة عام ـ ترجمة: عبد العزيز طريح شرف ـ آفاق عربية ـ بغداد ـ بدون تاريخ .

٧- جمال حمدان ـ القاهرة ـ مكتبة الأسرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٩٦ .

٨- جمال حمدان ـ المدينة العربية ـ معهد الدراسات العربية العالية ـ القاهرة ـ ١٩٦٤

٩- جمال حمدان ـ الجمهورية العربية الليبية دراسة في الجغرافيا السياسية ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ .

١٠ - جمال حمدان ـ العالم الإسلامي المعاصر ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧١ .

١١ - جمال حمدان - بين أوربا وآسيا دراسة في النظائر الجغرافية - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٠ .

١٢ - جمال حمدان - تخطيطنا الإداريّ في ضوء نظام الحكم المحلي - مرآة العلوم الاجتماعية - السنة الثالثة - القاهرة - يونيو ١٩٦١ .

١٣ - جمال حمدان - جغرافية المدن - ط١ - القاهرة - بدون ناشر - د.ت .

١٤ - جمال حمدان - جغرافية المدن - ط٢ - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٧ .

١٥ - جمال حمدان - دراسات في العالم العربي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٥٨ .

١٦ - جمال حمدان - شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان - ٤ أجزاء - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٠/ ١٩٨٤ .

١٧ - جمال حمدان - شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٠.

١٨ - جمال حمدان - شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان - كتاب الهلال - العدد ١٩٦ - دار الهلال - القاهرة - يوليو ١٩٦٧.

١٩ - جمال حمدان - نحو مدرسة عربية في الجغرافية - مرآة العلوم الاجتماعية - العدد الأول - ديسمبر - ١٩٦٤ .

٢٠ - جمال حمدان - هذه الجغزافيا - مرآة العلوم الاجتماعية - العدد الأول - ديسمبر - ١٩٥٧.

٢١ - حسن طه النجم - دراسة في الفكر الجغرافي - عالم الفكر - المجلد الثاني - العدد الثاني - يوليو سبتمبر - الكويت - ١٩٧١ .

٢٢- ريتشارد هارتشورن ـ نظرة في طبيعة الجغرافيا ـ ترجمة: عبد العزيز آل الشيخ وعيسى موسى الشاعر ـ دار المريخ ـ الرياض ـ ١٩٨٨ .

٢٣- س.و. وولدردج و جوردون إيست ـ الجغرافيا مغزاها ومرماها ـ ترجمة: يوسف أبو الحجاج و محمد محمود الصياد ـ الألف كتاب رقم ١٧٨ ـ مكتبة الشرق ـ القاهرة ـ بدون تاريخ نشر .

٢٤- عبد الحميد صالح حمدان ـ د. جمال حمدان..صفحات من أوراقه الخاصة ـ دار الغد العربي ـ القاهرة ـ ١٩٩٦ .

٢٥- فتحي محمد مصيلحي ـ السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور ـ في: فتحي محمد مصيلحي «محرر» ـ سليمان حزين العالم والمفكر والإنسان ـ الكتاب التذكاري الثاني للجغرافيين ـ المجلس الأعلي للثقافة ـ القاهرة ـ ٢٠٠٦

٢٦- محمد صبحي عبد الحكيم ـ دراسات في الجغرافيا العامة ـ ط١ ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠

٢٧- محمد علي عمر الفرا ـ اتجاهات الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر ـ نشرة قسم الجغرافيا جامعة الكويت رقم ٤٩ ـ يناير ١٩٨٣ .

28- Isard,W. ,Methods of Regional Analysis: An Introduction to Regional Science, The M.I.T. Press, Cambridge, Massachutetes,196.

29- Losch .August, Economics of Location, A Pioneer Book in the Relation Between Economic Goods and Geography,Trans.,Haven,1954.

30- S.E.Wooldridge and W.G.East The, Spirit and Purpose of Geography, HUCHINSON& University Library, London, 1976.



الكاتب



د. أحمد محمد أحمد عبد العال

أستاذ الجغرافيا بكلية الآداب جامعة الفيوم

البريد الإلكتروني:

mohaweiia@yahoo.com
bairouni2002@yahoo.com

الهاتف ٠١١٧٥٧٧٩٨٥



المؤلفات
والبحوث العلمية المنشورة
مرتبة من الأقدم إلى الأحدث

المؤلفات والبحوث العلمية المنشورة (مرتبة من الأقدم إلى الأحدث)

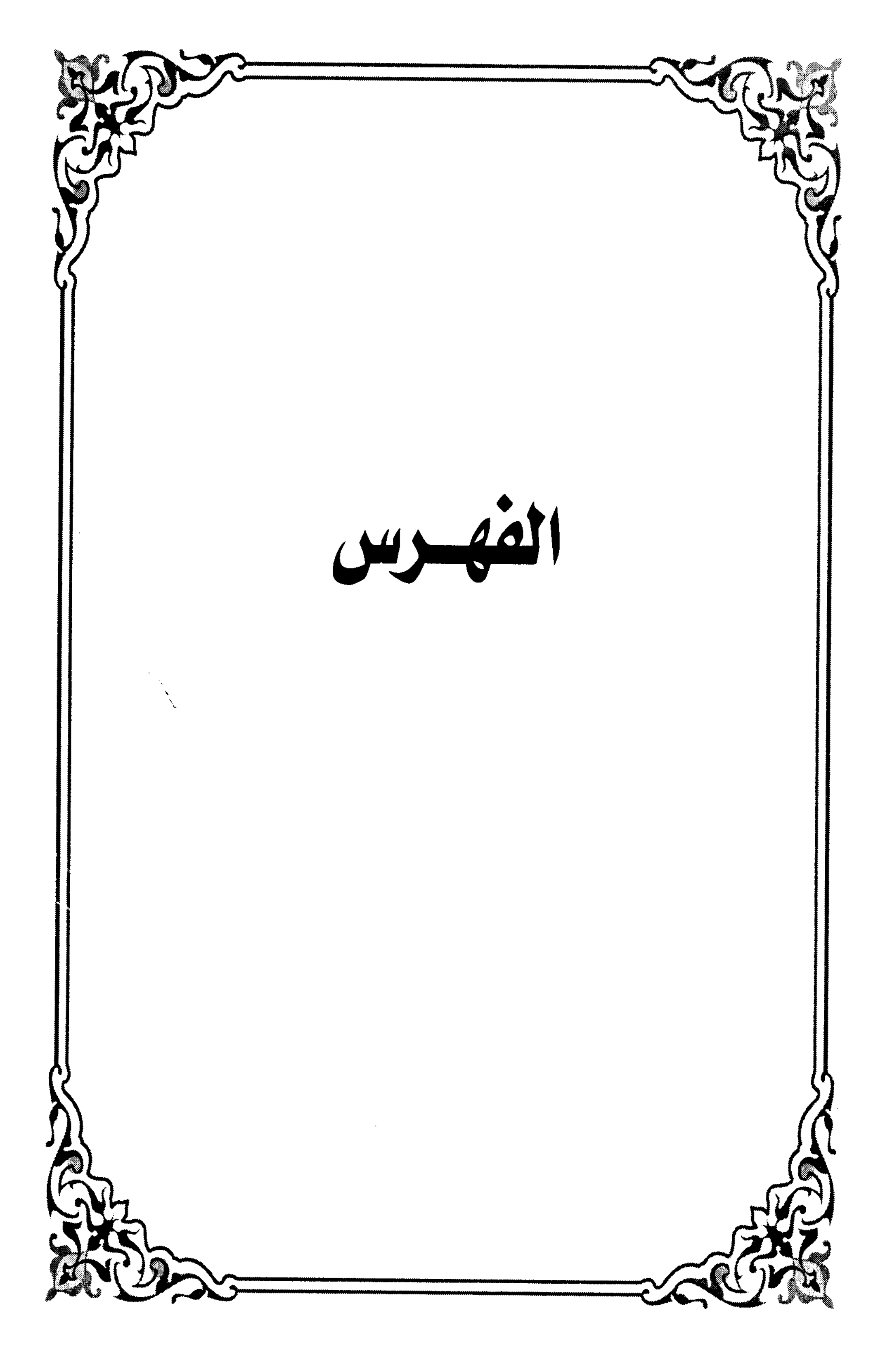
م	العنوان	جهة النشر	تاريخ النشر
١	وظائف المدن المصرية تصنيف وظيفي مقترح	مكتبة النهضة العربية	القاهرة ١٩٨٩
٢	الأبعاد المكانية للخصائص الوظيفية للمدن المصرية	مكتبة النهضة العربية	القاهرة ١٩٩٠
٣	جغرافية التنمية مفهومها وأبعادها	مجلة الآداب والعلوم الإنسانية - كلية الآداب جامعة المنيا	المجلد ٩٠-١٩٩١
٤	دور المدن المصرية غير المليونية في عملية التحضر ١٩٧٦-١٩٨٦	مجلة كلية الآداب جامعة المنوفية	العدد الخامس أبريل ١٩٩١
٥	المدن الجديدة والتنمية الإقليمية في مصر	مجلة الآداب والعلوم الإنسانية - كلية الآداب جامعة المنيا	المجلد العاشر - يونيه ١٩٩٢
٦	الأخطار البيئية والتحركات السكانية في السودان	مجلة الآداب والعلوم الإنسانية - كلية الآداب جامعة المنيا	المجلد الخامس عشر الجزء الثالث يناير ١٩٩٥
٧	المدن السعودية..استخدام الأرض والوظائف	مكتبة نهضة الشرق	القاهرة - ١٩٩٦
٨	الإقليم والإقليمية في الفكر الجغرافي	مجلة الجغرافيا والتنمية - كلية الآداب جامعة المنوفية	العدد الثامن - فبراير ١٩٩٧

م	العنوان	جهة النشر	تاريخ النشر
٩	الاختلافات الإقليمية في مستويات التنمية في مصر	مجلة الجغرافيا والتنمية ـ كلية الآداب جامعة المنوفية	العدد التاسع ـ يوليو ١٩٩٧.
١٠	الهيمنة الحضرية لمدينة الخرطوم الكبرى.أسبابها ونتائجها	المجلة الجغرافية العربية	العدد الواحد والثلاثون ـ الجزء الأول ـ ١٩٩٨
١١	هيمنة المدن المصرية.مقياس مقترح	المجلة العلمية للآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة المني	الجزء الأول ـ الجزء الثالث ـ يناير ١٩٩٨
١٢	قياسات كمية مقترحة لبعض الظاهرات الجغرافية	المجلة العلمية للآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة المنيا	المجلد الثلاثون ـ الثالث ـ يوليو ١٩٩٨
١٣	ضوابط النمو العمراني لمدينة الباحة	مجلة بحوث كلية الآداب ـ جامعة المنوفية	العدد الثاني والثلاثين يناير ١٩٩٨
١٤	معدلات نمو المدن المصرية فيما بين عامي ١٩٤٧ – ١٩٨٦	المجلة الجغرافية العربية ـ الجمعية الجغرافية المصرية	العدد الثالث والثلاثون ـ الجزء الأول ـ ١٩٩٩.
١٥	المناطق العشوائية بمدينة الفيوم دراسة جغرافية	ندوة العمران العشوائي بمصر المجلس الأعلى للثقافة	القاهرة ـ مايو ـ ٢٠٠٠
١٦	المصادر الإحصائية لدراسة سكان السودان عرض وتحليل	المجلة الجغرافية العربية	العدد السادس والثلاثون ـ الجزء الثاني ـ ٢٠٠٠

م	العنوان	جهة النشر	تاريخ النشر
١٧	المناطق العشوائية بمدينة الفيوم كمعوق لتخطيطها الحضري	المؤتمر الدولي الأول للعلوم الاجتماعية وتنمية المجتمع	كلية الآداب جامعة الكويت - أبريل ٢٠٠١
١٨	الجغرافية وثقافة المواطن المصري	ندوة الجغرافيا والتعليم العام - المجلس الأعلى للثقافة	القاهرة - مايو - ٢٠٠٢
١٩	سكان مصر إلى أين؟	الكتاب التذكاري الأول للجغرافيين المصريين - المجلس الأعلى للثقافة	القاهرة - يونيو - ٢٠٠٢
٢٠	التنمية البشرية :مفهومها وأبعادها ومقاييسها	المؤتمر السنوي الثاني والثلاثين لقضايا السكان والتنمية - المركز الديموجرافي	القاهرة - ديسمبر ٢٠٠٢
٢١	السكان والبيئة والتنمية في إفريقيا	ندوة السكان والموارد في قارة أفريقيا - معهد الدراسات الإفريقية جامعة القاهرة	ديسمبر ٢٠٠٢
٢٢	أقطاب ومراكز النمو بين النظرية والتطبيق	المجلة الجغرافية العربية	العدد الثاني والأربعون - الجزء الثاني-٢٠٠٣ ٠
٢٣	المراكز الحضرية الكبرى في مصر	ندوة قسم الجغرافيا كلية الآداب - جامعة القاهرة	مايو-٢٠٠٣
٢٤	صحارى مصر سكانا وعمرانا	ندوة قسم الجغرافيا كلية الآداب - جامعة القاهرة	مايو - ٢٠٠٥
٢٥	نقاط التجديد في الفكر الجغرافي	مجلة المجمع العلمي المصري	إبريل ٢٠٠٧

م	العنوان	جهة النشر	تاريخ النشر
٢٦	ممر التنمية ما له وما عليه	ندوة قسم الجغرافيا كلية الآداب - جامعة المنيا	مارس - ٢٠٠٧
٢٧	جغرافية التنمية..مفاهيم نظرية وأبعاد مكانية	الملتقى الخامس للجغرافيين العرب ٢٠٠٨ - جامعة الكويت	نوفمبر - ٢٠٠٨
٢٨	دراسات في الفكر الجغرافي	دار فكرة	٢٠٠٩
٢٩	دراسات في جغرافية مدن مصر	دار فكرة	٢٠١٠
٣٠	دراسات في جغرافية التنمية	دار فكرة	٢٠١٠
٣١	الجغرافيا على مر العصور	مكتبة جزيرة الورد	٢٠١١





الفهرس

الفهرس



القاهرة : ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل

ش٢٦ يوليو - ميدان الأوبرا : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com